مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (١٢)

بناء الفعل الماضى بين القدامى والمحدثين

"دراسة وصفية نقدية"

إعداد

د / داليا سامى أحمد حسن

المدرس فى قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة المنوفية

السنة ٢٨ العدد (١١١) اكتوبر ٢٠١٧م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بناء الفعل الماضي بين القدامى والمحدثين

(دراسة وصفية نقدية)

د. داليا سامى أحمد حسن

المدرس في قسم اللغة العربية

كلية الآداب– جامعة المنوفية

الملخص:

يعرض هذا البحث (بناء الفعل الماضى بين القدامى والمحدثين) عدة تساؤلات عن بناء الفعل الماضى بين القدامى والمحدثين ؛ وذلك لأن الحديث عن بناء الفعل الماضى أمر شائك ومحير للغاية، وقد تتردد فى الذهن عدة تساؤلات عند الحديث عن بنائه، منها : لم بنى الفعل الماضى وقد ظهرت على آخره الضمة والفتحة والكسرة، ولماذا لم يعرب كنظيره المضارع؟ ولم بنى على حركة، وأصل البناء السكون؟ ولم اختص بهذه الحركة (الفتحة) دون غيرها ؟، وما أصل هذه الفتحة، وعلام تدل ؟ وهل هى مجرد علامة بنائية صرفة أم هى لاصقة ضميرية ؟.

تعنى هذه الدراسة ببناء الفعل الماضى عند القدامى والمحدثين، وهى فى هذا الإطار تتبنى فكرة جدلية تتصدى من خلالها للإجابة عن عدد من التساؤلات التى قد تدور أو تتردد فى ذهن كثير من الباحثين والنحاة.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على اتباع المنهج الوصفى التحليلى الذى يصف جهود النحاة القدماء وآرائهم غير متغافل عن إسهامات النحاة العرب المحدثين الذين أضاءوا لنا جوانب مختلفة من الدرس النحوى.

كما تحاول هذه الدراسة الوقوف على حقيقة بناء الفعل الماضى على الفتح وأصل هذه الحركة معتمدة فى ذلك على الأصول النحوية ونظريات النحو ومعطياته وقواعده.

وقد توصل البحث إلى عدة نتائج، منها: أن الفتحة فى بناء الفعل الماضى المجرد تعد ميراثا من اللغات السامية، وكانت تحمل فى اللغة السامية وحدة صرفية (مورفيم) تحمل معنى، وهو إسناد الفعل الماضى المجرد إلى المفرد الغائب المذكر.

كما أن ظاهرة التخفيف قد فسرت لنا كثيرا من الظواهر الصرفية والنحوية التى كانت غامضة أمام النحاة والباحثين، ولعل تلك الظاهرة – أيضا – هى التى تفسر لنا العلة فى بناء الفعل الماضى على الفتح.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحمد لله حمد الشاكرين، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونصلى ونسلم على أشرف المرسلين وسيد الخلق أجمعين سيدنا محمد النبى الأمي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد :

فعلم النحو من أشرف العلوم العربية، وأعلاها قدرا، وحسبه أنه قام لخدمة اللغة العربية وتخليد تراثها الحافل على مر الزمان والمكان.

فالنحو هو رياضة اللغة العربية، وذلك لأنه يرتكز على الفكر والإبداع وإعمال العقل، ومن ثم فإن الأفكار والنظريات الجدلية هى ثمرة ونتاج لإعمال العقل فى الحقل اللغوى، وهى التى تؤدى إلى سبر أغوار القضايا والمسائل النحوية المختلفة، وذلك بغية الوصول إلى الحقائق العلمية بشكل علمى موضوعى محايد دون الانحياز إلى فريق من النحاة أو مذهب بعينه .

منهجية البحث :

تعنى هذه الدراسة ببناء الفعل الماضى عند القدامى والمحدثين، وهى فى هذا الإطار تتبنى فكرة جدلية تتصدى من خلالها للإجابة عن عدد من التساؤلات التى قد تدور أو تتردد فى ذهن كثير من الباحثين والنحاة.

أمَّا أهم خصائص هذه الدراسة فهى :-

أولاً: - دراسة تقوم على اتباع المنهج الوصفى التحليلى الذى يصف جهود وآراء النحاة القدماء غير متغافل عن إسهامات النحاة العرب المحدثين الذين أضاءوا لنا جوانب مختلفة من الدرس النحوى.

ثانياً:- تحاول هذه الدراسة الوقوف على حقيقة بناء الفعل الماضى على الفتح، وأصل هذه الحركة معتمدة فى ذلك على الأصول النحوية ونظريات النحو ومعطياته وقواعده.

أما عن الدراسات السابقة فلم أجد سوى بحث بعنوان : " حركة آخر الفعل الماضى بين اللاحقة الإسنادية والعلامة البنائية " تأليف د. منير تيسير منصور - الجامعة الهاشمية - كلية الآداب - قسم اللغة العربية.

يعرض الدكتور / منير شطناوى فى هذا البحث فكرة جدلية بين وجهات نظر متباينة، يرى بعضها الحركة القصيرة آخر الفعل الماضى لاحقة إسنادية ؛ انطلاقا من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التعالق الشكلى والموقعى والدلالى بين الحركتين القصيرة والطويلة، ويرى الآخر هذه الحركة القصيرة علامة بنائية صرفة.

وخلص الدكتور شطناوي إلى بطلان رأى من يقول باللاحقة الإسنادية، فالحركة القصيرة آخر الماضى وإن شابهت الطويلة فى الجنس، إلا أنها ليست تقصيرا لها إذ تمّ إسناد اللاحقة الإسنادية الطويلة بزيادتها لا بمد القصيرة، مستندا فى ذلك إلى جملة من الأدلة اللغوية والمنطقية.

أهداف الدراسة :

تتمثل أهداف هذه الدراسة فيما يأتى : -

أولاً:- تزويد الباحثين والدارسين بمادة علمية تتعلق بحقيقة بناء الفعل الماضى على الفتح.

ثانياً:- مناقشة النحاة القدماء فى تعليلهم لاختصاص الفتح دون غيره لبناء الفعل الماضى، ومحاولة الرد عليهم.

ثالثاً:- محاولة الوصول إلى رد شاف ومقنع لبناء الفعل الماضي على الفتح، وتمهيد الطريق للمزيد من البحث العلمى الجاد وكشف الحقائق حول هذا الموضوع وغيره من الموضوعات التى تحتاج إلى إعمال العقل، وتبنى الأفكار الجدلية التى تهدف للوصول إلى اللطائف النحوية.

هذا، وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تكون على النحو التالى :-

أولاً:- مقدمة

ثانياً:- دراسة جدلية ترتكز على مبحثين ، وهما :

- **المبحث الأول** : بناء الفعل الماضى على الحركة ـ أسبابه وأصوله .
- **المبحث الثانى** : اختصاص هذه الحركة (الفتحة) دون غيرها ببناء الفعل الماضى .

ثالثاً:- خاتمة تعرض لأهم النتائج التى توصل إليها البحث ، وقائمة تشتمل على أهم المصادر والمراجع التى اشتمل عليها البحث.

وأخيرا فإن هذا البحث ليس إلا محاولة جادة للوصول إلى حقيقة بناء الفعل الماضي على الفتح.

والله أسأل أن يكون عملى هذا خالصا لوجهه الكريم، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

د. داليا سامى أحمد

كلية الآداب – جامعة المنوفية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بناء الفعل الماضى بين القدامى والمحدثين
(دراسة فى الجدل النحوى)

يعرض هذا البحث عدة تساؤلات عن بناء الفعل الماضى بين القدامى والمحدثين، وذلك لأن الحديث عن بناء الفعل الماضى أمر شائك ومحير للغاية، وقد تتردد فى الذهن عدة تساؤلات عند الحديث عن بنائه، منها : لم بنى الفعل الماضى وقد ظهرت على آخره الضمة والفتحة والكسرة، ولماذا لم يعرب كنظيره المضارع ؟ ولم بنى على حركة، وأصل البناء السكون ؟ ولم اختص بهذه الحركة (الفتحة) دون غيرها ؟، وما أصل هذه الفتحة ؟ وعلام تدل ؟ وهل هى مجرد علامة بنائية صرفة أم هى لاصقة ضميرية ؟

ويجدر بالبحث قبل الخوض فى غمار وأعماق هذه الدراسة أن يعرض مصطلحى (الإعراب والبناء) عند النحاة، وذلك لما لهما من أهمية بالغة فى ترسيخ ما يصبو إليه من حقائق علمية.

وأمّا الإعراب فى الاصطلاح[١] : فذهب طائفة إلى أنه نفسه : هو الحركات اللاحقة آخر المعربات من الأسماء والأفعال، وعلى هذا فالإعراب عندهم لفظى، وهو اختيار ابن خروف، والأستاذ أبى على [٢] وابن الحاجب [٣] وابن مالك[٤] .

وذهب متأخرو أصحابنا [٥] وطائفة إلى أن الإعراب معنوى، وهوتغيير فى آخر الكلمة، أو ما كالآخر لعامل دخل عليها نفسها، والحركات علامات الإعراب، ودلائل عليه، وهو ظاهر قول سيبويه[٦].

وأما البناء فى الاصطلاح : فهو لزوم آخر الكلمة سكونا أو حركة لغير عامل،

---

(١) الكتاب ١٣/١- ١٤ ، والمقتضب ١٥١/٢ ، والإيضاح فى شرح المفصل ١١٨/١ ، وارتشاف الضرب ٨٣٣/٢

(٢) شرح الجمل لابن عصفور ١٠٢/٢، والمساعد ١٩/١ ، والأشمونى ٤٧/١، والتوطئة ١٣١ ـ ١٣٢ ،والهمع ١٤/١.

(٣) الإيضاح فى شرح المفصل ١/ ١١٥.

(٤) التسهيل ٧ والمساعد ١٩/١.

(٥)ارتشاف الضرب ٨٣٣/٢ .

(٦) الكتاب ١٣/١-١٤ ، وشرح الرضى للكافية ٧٧/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والسكون أصل والحركة فرع فى المبنى (٧) .

والإعراب أصل فى الأسماء، فرع فى الأفعال كما هو الحال عند البصريين وجمهور النحاة، والفعل ضربان : مبنى (الماضى والأمر) وهو الأصل، ومعرب (المضارع) وهو الفرع.

وإنّما أعرب الفعل المضارع(٨) لمشابهته الاسم من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه يقع فى معناه كقولك : كان زيدٌ يقوم فى معنى قائما.

والثانى : أنّ لام الابتداء تدخل عليه فى خبر " إنّ " كما تدخل على الاسم تقول : إنّ زيدًا ليقوم، كما تقول : إنّ زيدًا لقائم، قال الله عز وجل ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ (٩)

والوجه الثالث : من مضارعة الفعل الاسم : أن الحرف ينقله من احتمال زمانين إلى اختصاص بواحد بعينه، كما أن الحرف ينقل الاسم من احتمال الجنس إلى اختصاص واحد بعينه.

وكما أنّ الأسماء تدخل عليها العوامل فتعرب، فكذلك الفعل المضارع تدخل عليه الزوائد الأربعة (أنيت)، وتدخل عليه (السين وسوف) فيضارع الأسماء فيعرب، كما تدخل عليه حروف النصب وحروف الجزم فيعرب .

فالزيادة فى أول الفعل المضارع (أنيت) هى التى تنقله من البناء إلى الإعراب، وهذه الزيادة مثار بحث أيضا، فقد ذهب قسم من الباحثين المحدثين إلى أن هذه الزيادات فى أول الفعل المضارع إنما هى ضمائر لا أحرف.

ومن هؤلاء الدارسين **الدكتور عبد الرحمن أيوب** حيث ذهب إلى أن تعريف الضمير يشمل هذه الزيادات " لأنها هى التى تُعيِّن المتكلم أو المخاطب أو الغائب ولم يعتبرها النحاة من الضمائر.

والذى لاشك فيه أن الذى يدل على أنَّ الفاعل فى (أضربُ) هو المتكلم وفى (يضرب)

(٧)المعرب ٣١٨/١ ، وشرح الجمل لابن عصفور ٢/ ٣٣١-٣٣٢ ، والمساعد ٣٢/١-٣٣ ، ولسان العرب (بنى) ٣٦٦/١ ، والارتشاف ٦٧٣/٢.
(٨)الكتاب ١٤/١ ، والمقتضب ١/٢ ، والأصول ١/ ٤٨ ، والتبصرة والتذكرة ٧٧/١
(٩) سورة النحل ١٢٤/١٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هو الغائب ليس سوى الهمزة فى الأول والياء فى الثانى (١٠) " .

وقال أيضا : " تعيّن الدلالة على العدد فى المتكلم بالهمزة أو النون فى أول صيغة المضارع، أمّا فيما عدا ذلك فتعين بوجود الألف أو الواو أو نون الإناث.

ويلاحظ أن الألف والواو لاتدل على غير العدد حيث إن الدلالة على الشخص تكون بزيادة ذكرناها من قبل، وإذا صح هذا فإنه من غير الصواب أن نعتبر ألف التثنية وهى لاتدل على متكلم أو مخاطب أو غائب ضميرا، ولا نعتبر الهمزة أو الياء فى أول الصيغة ضميرا مع دلالة الأولى على المتكلم والثانية على الغائب "(١١)

وإذا كنا قد علمنا علة إعراب الفعل المضارع، **فما العلة فى بناء الفعل الماضى؟**

وإذا قلنا إن الفعل الماضى يبنى على الفتح تارة، ويبنى على الضم تارة أخرى ويبنى على السكون تارة ثالثة، أصبح هذا الفعل المبنى شبيها بالمعرب فى أنه متغيّر الآخر، ولا فائدة من قولنا إنه مبنى لأن الكلمة إذا دخلت عالم البناء أو منذ الأساس جعلها العرب مبنية، فلابد من لزوم آخرها حالة واحدة ثابتة.

والفعل الماضى لم يضارع الاسم كنظيره المضارع ؛ ولذلك فهو مبنى كما هو الأصل فى بناء الأفعال، وهذا التغير الطارىء على آخره ليس بسبب عامل عمل فيه الرفع أو النصب أو الجزم، وكون التغير على آخر الفعل لم يكن بسبب عامل يستلزم أنه غير معرب، فلم يبق إلا أن يكون مبنيا حيث إنه لايتأثر بالعوامل ولا توجد زيادات فى أوله ولا يقوم بأى وظيفة نحوية.

(١٠) دراسات نقدية ٧١.
(١١) دراسات نقدية ٧١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول : بناء الفعل الماضى على الحركة ـ أسبابه وأصوله

أمّا بناؤه (الفعل الماضى) على حركة، فقد أجاب النحاة عن ذلك قائلين :

"والفتح فى الأفعال التى لم تجر مجرى المضارعة قولهم : ضَرَبَ، وكذلك كل بناء من الفعل كان معناه فَعَلَ، ولم يسكنوا آخر فَعَلَ لأن فيها بعض ما فى المضارعة، تقول : هذا رجل ضَرَبَنَا، فتصف بها النكرة، وتكون فى موضع ضارب إذا قلت : هذا رجل ضارب، وتقول : إن فَعَل فعلتُ، فيكون فى معنى إن يفْعَلْ أفعلْ، فهى فعلٌ كما أنَّ المضارع فعلٌ وقد وقعت موقعها فى إنْ، ووقعت موقع الأسماء فى الوصف كما تقع المضارعة (فى الوصف) ، فلم يسكنوها كما لم يسكنوا من الأسماء ما ضارع المتمكن ولا ماصُيِّر من المتمكن فى موضع بمنزلة غير المتمكن، فالمضارع مِنْ عَلُ، حرَّكوه لأنهم قد يقولون من عَلٍ فيجرونه، وأما المتمكن الذى جعل بمنزلة غير المتمَكن فى موضع فقولك : ابدأ بهذا أولُ، وياحكَمُ. " (١٢)

وهذا الرد الذى قد علل به النحاة بناء الفعل الماضى على حركة نجده غير شافٍ وغير مقنع، فالفعل الماضى لا خلاف فى بنائه عند النحاة، وذلك بخلاف فعل الأمر الذى اختلف النحاة فى إعرابه وبنائه.

فقد ذهب الكوفيون (١٣) إلى أن فعل الأمر للمواجه المُعَرَّى عن حرف المضارعة – نحوافعل – معرب مجزوم، واحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه معرب مجزوم لأن الأصل فى الأمر للمواجه فى نحو " افْعَلْ " لِتَفْعَلْ، كقولهم فى الأمر للغائب " لِيَفْعَلْ "، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (١٤) فى قراءةُ من قرأ بالتاء من أئمة القراء، وذكرت القراءة أنها قراءة النبى –صلى الله عليه وسلم– من طريق أبى بن كعب.

وقد جاء فى الحديث " **ولتزُرّه ولو بشوكة** "، وقال الشاعر : (الخفيف)

لتقم أنت يابن خير قريش فلتقضى حوائج المسلمينا (١٥)

فثبت أن الأصل فى الأمر للمواجه فى (نحو افعل) أن يكون باللام نحو لِتَفْعَلْ كالأمر للغائب، إلا أنه لما كثر استعمال الأمر للمواجه فى كلامهم وجرى على ألسنتهم أكثر

---

(١٢) الكتاب ١/ ١٦ ، وشرح الجمل لابن عصفور ٢/ ٣٣٣ ، وأوضح المسالك ١/ ٣٦ .
(١٣) شرح الأشمونى ١/ ٦٤ ، وشرح ابن يعيش ٩٦٥ والإنصاف ٢/ ٥٢٤- ٥٤٩.
(١٤) سورة يونس ١٠/ ٥٨
(١٥) البيت بلا نسبة فى تذكرة النحاة ص ٦٦٦ ، وخزانة الأدب ٩/ ١٤ ، ١٠٦ ، وشرح التصريح ١/ ٥٥ ، ومغنى اللبيب ١/ ٤٤٤، وشرح شواهد المغنى ٢/ ٦٠٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الغائب استثقلوا مجىء اللام فيه مع كثرة الاستعمال فحذفوها مع حرف المضارعة ط
للتخفيف.

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنه معرب مجزوم أنا أجمعنا على أن فع
النهى معرب مجزوم نحو " لاتفعلْ " فكذلك فعل الأمر نحو " افعلْ " لأن الأمر ضد النهى
وهم يحملون الشىء على ضده كما يحملونه على نظيره، فكما أن فعل النهى معرب مجز
فكذلك فعل الأمر.

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنه معرب مجزوم بلام مقدرةأنك تقول فى
المعتل " اغزُ، وارمِ، واخشَ " فتحذف الواو والياء والألف كما تقول " لم يغزُ، ولم يرمِ، ولم
يخشَ " بحذف حرف العلة، فدل على أنه مجزوم بلام مقدرة (١٦).

فكل هذه الأدلة قدَّمها الكوفيون لإثبات أن فعل الأمر معرب، وقد وافقهم فى ذلك ابن
هشام (١٧)، وخالفهم فى ذلك البصريون حيث ذهبوا إلى أن فعل الأمر مبنى .

وهذا الخلاف بين النحاة فى إعراب فعل الأمر وبنائه كان جديرا أن يجعل فعل
الأمر هو الذى يبنى على حركة، وليس الفعل الماضى الذى لم يختلف فى بنائه أحد من
النحاة.

وأما ما احتج به النحاة من أمثلة نحو : جئت من علُ، وابدأ بهذا أوّلُ فلا يصلح
أن يكون حجة أو دليلا على صحة بناء الفعل الماضى على حركة، وذلك لأن الأمر
مختلف فـ (عل) و (أوّل) أسماء والأصل فى الأسماء الإعراب ومتى أريد بهما المعرفة كان
مبنيين على الضم تشبيهًا لهما بالغايات.

وإنما بنوا هذا الضرب على الضمة دون الفتحة والكسرة، لأنه إنما يعرب بالنصب والخفض
دون الرفع، فلو بنوه على أحدهما التبست حركة بنائه بحركة إعرابه، وفى التنزيل :﴿ قَالُواْ

(١٦) الإنصاف ٥٢٨/٢.
(١٧) مغنى اللبيب ٤٤٤/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ﴾ [١٨] وفيه (لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ)[١٩] أى من قبل غلبهم ومن بعد غلبهم، فلمّا حذف ما أضيفا إليه بنيا [٢٠]

وأما" يا حكمُ " فبنى لأن الأسماء المظهرة إنما وضعت للغيبة، والاسم إذا كان حاضرا فله "الكاف" أو " التاء " على حسب الفاعل والمفعول، وإن كان متكلما فله " الياء " أو " التاء " على حسب موضعهما، ولايحتاج إلى اسم مظهر، فإذا قلت : يازيدُ، فكأنك قلت : أدعوك وأناديك إذ هو مخاطب، فوقع المظهر موقع الكاف، والكاف مبنى فبنى المظهر، وإذا كان الاسم قد بنى لوقوعه موقع الحرف، وليس من جنسه، فبناء الاسم لوقوعه موقع الاسم أولى، وإنما بنى (ياحكمُ) على حركة لأن له تمكنا، والبناء فيه عارض لأنه يعرب تارة ويبنى تارة [٢١].

وإنما كانت الحركة ضمة لأنه لايخلو أن يبنى على ضم أو فتح أو كسر، فلا يكون فتحة لأن عمل النداء فى الإعراب النصب، فلم يبنوه على حركة تناسب عمله لأجل اللبس، وإنما لم يكن كسرة خوفا أن يلتبس بالمضاف إلى النفس نحو : ياغلامِ، لأن العرب تجتزى بالكسرة عن الياء [٢٢]

المبحث الثانى : اختصاص هذه الحركة (الفتحة) دون غيرها ببناء الفعل الماضى .

والآن يبقى السؤال قائما : لم بنى الفعل الماضى على حركة، وأصل البناء السكون؟ ، ولم اختص بهذه الحركة (الفتحة) دون غيرها ؟ وما أصل هذه الفتحة ؟ وعلام تدل ؟

ومن الجدير بالذكر أنّ من الباحثين من وقف على أصل فتحة لام (فَعَلَ) موقف المتسائل ولم ينسبها لرأى، ومن هؤلاء برجشتراسر [٢٣] حيث ذكر أن الفتحة الانتهائية فى (فَعَلَ) أصلها مجهول ومعناها غامض.

وذهب بعض الباحثين المحدثين إلى أنَّ الفتحة فى الفعل الماضى ما هى إلا لاصقة ضميرية، وأن الفعل الماضى فى الأصل مبنى على السكون لا الفتح، فالفعل " درسَ

(١٨) سورة الأعراف ١٢٩/٧.
(١٩) سورة الروم ٤/٣٠.
(٢٠) الأمالى الشجرية ٧٥/٢ .
(٢١) المنصوبات فى كتاب شرح لمع ابن جنى المسمى بالغرة لابن الدهان ص ٣٢٥
(٢٢) المنصوبات فى كتاب شرح لمع ابن جنى المسمى بالغرة لابن الدهان ص ٣٢٦
(٢٣) التطور النحوى للغة العربية لبرجشتراسر ص ٨١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" ليس فعلا مجردا، بل هو مركب من أصل فعلى هو " درس " بالإضافة إلى الفتحة أو الفتحة القصيرة فى آخره التى تشير إلى الشخص، والعدد، والجنس، والحركة فى آخر الفعل الماضى – عندهم – لاحقة إسنادية تدل على المثنى المذكر الغائب إن كانت طويلة وعلى المفرد المذكر الغائب إن كانت قصيرة[٢٤]

وإذا تأملنا ما أصّلته النحاة فى درس البناء وجدناهم يجعلون الأصل فيه السكون وتحريكه لعلة موجبة نحو : الفرار من التقاء الساكنين، أو البدء بحرف ساكن لفظا أو حكما أو أن يكون للمبنى حالة تمكن – لم نجد الفعل الماضى مما يسرى عليه علة من هذه العلل

ولذا يرى البحث أن الفعل الماضى مبنى على السكون، وذلك كما فى الإسنادات التالية :

١. مع تاء المتكلم (ضربْتُ) .
٢. مع نا المتكلمين (ضَرَبْنا) .
٣. مع تاء المخاطب (ضَرَبْتَ) .
٤. مع تاء المخاطبة (ضربْتِ) .
٥. مع ضمير المخاطبين (ضَرَبْتُما) .
٦. مع ضمير المخاطبين (ضَرَبْتُم) .
٧. مع ضمير المخاطبات (ضَرَبْتُن) .
٨. مع ضمير الغائبات (ضَرَبْن) .

أى مع ضمائر الرفع المتحركة بشكل عام، ويأتى الفعل الماضى مبنيا على السكون أيضا مع تاء التأنيث وألف الاثنين ثم يتم العدول عن البناء على السكون إلى البناء على الفتح حتى لايلتقى ساكنان (آخر الفعل الماضى وتاء التأنيث الساكنة)، و (آخر الفعل الماضى وألف الاثنين الساكنة)، واختير الفتح هنا تجانسا ومناسبة أيضا بين الألف وما قبلها.

ويبنى الفعل الماضى على السكون أيضا عند اتصاله بواو الجماعة، ولكنه يتم العدول فى هذه الحالة عن البناء على السكون إلى البناء على الضم حتى لايلتقى ساكنان (آخر

(24) http//uqu-edu.sa.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفعل الماضى + واو الجماعة)، واختير الضم تجانسا ومناسبة بين الواو وما قبلها، وذلك من مظاهر الخفة.

فحين نعرض أحوال بناء الفعل الماضى نجد أن فى بنائه خفة واضحة تقوم على المناسبة الصوتية فى كثير من أحواله.(٢٥)

وهنا نجد النحاة يرون أن بناء الفعل الماضى على السكون عند اتصاله بضمير رفع متحرك قد جاء لعلة عارضة ، وهى كراهة توالى أربعة متحركات فى كلمة واحدة . (٢٦)

ولكن البحث يرى أن الفعل الماضى عندما بنى على السكون عند الاتصال بضمير رفع متحرك ، فقد تمسك بالأصل (الأصل فى المبنى أن يسكن) ، وأن كل ما جاء على ما هو الأصل فيه لايسأل عن علة مجيئه ، واللغة تقرر ذلك وتدعمه ، فالتشكيل المقطعى للغة هو الذى لايسمح بتوالى أربعة مقاطع من نوع واحد فى كلمة واحدة ، وهو ما يتوافق مع الأصل فى البناء على السكون .

وقد ذكر السيوطى أن : من تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل ، ومن عدل عن الأصل افتقر إلى إقامة دليل لعدوله عن الأصل ، واستصحاب الحال أحد الأدلة المعتبرة . (٢٧)

ويبقى الإشكال قائما حول بناء الفعل الماضى المجرد على الفتح، وما حقيقة هذه الفتحة ؟

ويتوصل البحث إلى أن هذه الفتحة فى آخر الفعل الماضى المجرد تعد ميراثا من اللغات السامية، ففى اللغات السامية الجنوبية تنتهى الأفعال الماضية بالفتحة القصيرة (a) : " كَتَبَ " فى العربية، وكذلكKatala فى الحبشية حتى اللهجات الحبشية المعاصرة، ومن بينها الأمهرية لاتزال تحتفظ بهذه الفتحة القصيرة، وإن تطورت فى بعضها إلى كسرة ممالة

ولا نستطيع فى العربية الجنوبية (السبئية والمعينية) التأكد من وجود هذه الفتحة، لأن خطها المسند لايظهر به سوى رموز الأصوات الصامتة. (٢٨)

وإننا نفترض أصالة هذه الفتحة القصيرة، فى السامية الأم، وقد بقيت حية فى القسم

---

(٢٥) ظاهرة التخفيف فى النحو العربى ص٢٦٨ .
(٢٦) أوضح المسالك ٣٦/١ ، ٣٧ ، وشرح الجامع الصغير فى النحو ٥٣/١ .
(٢٧) الاقتراح ١٤٧
(٢٨) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ص ٢٦٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجنوبى، من اللغات السامية، وفقدت من اللغات السامية الشمالية، كالعبرية فى

والآرامية فى مثل كما فقدت بعد ذلك من اللهجات العربية الحديثة.

وسقوط هذه الفتحة القصيرة، من تلك اللغات، مرتبط بسقوط الحركات القصيرة

أواخر كلمات هذه اللغات ومن بينها حركات الإعراب، والسبب الرئيسى فى هذه الظاهرة

يبدو، هو شيوع الوقف بالسكون على أواخر الكلمات فى اللغات السامية، كما هو معروف

لنا فى العربية الفصحى، فى غالب الأحوال (٣٠) والدليل على أصالة هذه الفتحة القصيرة

فى آخر الماضى المسند للغائب المفرد، أنّا نراها مرة أخرى، فى اللغات السامية الشمالية

قبل اتصال الفعل ببعض ضمائر النصب ذلك لأن تلك الفتحة القصيرة لن تكون فى هذه

الحالة فى آخر الكلمة، بل فى وسطها، والعناصر اللغوية القديمة، كثيرا ما تظهر عند

اتصال الأفعال بضمائر النصب، مثال ذلك فى العبرية " أرسلنى "

، ومثال ذلك أيضا: " azarant " " أعاننى".(٣١)

ويتضح مما سبق أن الفتحة التى يبنى عليها الفعل الماضى المجرد كانت تحمل فى اللغة السامية وحدة صرفية (مورفيم) تحمل معنى، وهو إسناد الفعل الماضى المجرد إلى المفرد الغائب المذكر.

فالفتحة فى اللغة السامية لاحقة إسنادية تلحق الفعل، كما يلحق الفعل عندهم علامة التثنية والجمع، للفاعل المثنى والمجموع، كما تلحقه علامة التأنيث، عندما يكون الفاعل مؤنثا سواء بسواء، ففى اللغة العبرية مثلا :

Wayyãmŏṯû ġam šnēhem mahlŏn w– ḵilyŏn

(٢٩) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ص ٢٦٨
(٣٠) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ص ٢٦٨
(٣١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ص ٢٦٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وترجمته الحرفية : " فماتا كلاهما محلون وكلبون ".(32)

وقد تخلصت العربية الفصحى من هذه الظاهرة، رويدا رويدا، أخذا بمبدأ الاستغناء عن بعض العلامات، للدلالة على الظاهرة الواحدة ، وذلك بغية التخفيف .

وإذا استغنت اللغة عن العلامات المتصلة بالفعل، لم تخسر الدلالة على التثنية والجمع، لوجود ما يدل عليهما فى صيغة الفاعل نفسها ؛ ولذلك قال سيبويه : " وإنما قالت العرب : قال قومك، وقال أبواك؛ لأنهم اكتفوا بما أظهروا، عن أن يقولوا : قالا أبواك، وقالوا قومك، فحذفوا ذلك اكتفاءبما أظهروا ".(٣٣)

وإذا كانت العربية الفصحى، قد تخلصت رويدًا رويدًا من هذه الظاهرة، فإن بقاياها ظلت حية، عند بعض القبائل العربية القديمة، كقبيلة " طيئ " و " بلحارث بن كعب " و " أزد شنوءة "، وكذلك بقيت بعض آثارها فى العربية الفصحى، فى القرآن الكريم، والحديث الشريف، واحتفظ بها الكثير من أبيات الشعر العربى القديم.

أما القرآن الكريم، فقد ورد فيه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ (٣٤) وقوله عز وجل : ﴿ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ (٣٥)

وقد أكثر النحويون، والمفسرون وعلماء اللغة العرب، القول فى هاتين الآيتين الكريمتين (٣٦) ومماجاء فى الحديث الشريف، قوله صلى الله عليه وسلم : " **يتعاقبون فيكم ملائكة بالنهار**". (٣٧) ومما جاء فى الشعر القديم، قول أميه بن أبى الصلت : (المتقارب)

يلومونني فى اشتراء النخيـ ل أهلـــى فكلهم يعذل (٣٨)

بدلا من : يلومنى أهلى، وغير ذلك كثير فى الشعر العربى القديم.

ولعل الذى جعل النحاة القدماء لم يلتفتوا إلى هذا الأمر، أمران :

أحدهما أن القدماء كانوا ينظرون إلى حركات البناء على أنها عناصر ثانوية قاصرة

---

(٣٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ص ٣٠٠

(٣٣) الكتاب ٢٣٤/١

(٣٤) سورة المائدة ٧١/٥

(٣٥) سورة الأنبياء ٣/٢١

(٣٦) معانى القرآن للفراء ٣١٦/١ ، وتفسير الطبرى٢٦٨/١١ ، وتفسير القرطبى ٢٤٨/٦ ، وشرح التصريح ٢٧٠/١-٢٧٧ .

(٣٧) القاموس المحيط (الواو) ٤١٣/٤ ، وبصائر ذوى التمييز ١٤٦/٥ .

(٣٨) ديوانه ص ١٦ ، والدرر اللوامع ١٤٢/١ ، وشرح التصريح ٢٧٦/١ ، وهمع الهوامع ١٦٠/١ ، وإعراب الحديث للعكبرى ٤٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن القيام بأى وظيفة نحوية، كما أن التركيب اللغوى فى العربية يأتى بالمسند إليه صدرا (الفاعل) بعد هذه الحركة القصيرة.

والآخر، هو أن تعريفات النحويين القدماء للفعل كانت ترتكز على عنصرين فقط هما **الحدث والزمن**، ولم يلتفتوا فى تعريفهم للفعل إلى العنصر الثالث وهو النسبة – أى الإسناد **إلى الفاعل.**

فأقدم تعريف للفعل هو ماجاء فى كتاب سيبويه بقوله " وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع.

فأما بناء ما مضى : فذهب وسمع ومكث وحمد، وأما بناء مالم يقع فإنه قولك آمرا : اذهب واقتل واضرب، ومخبرا : يقتل ويذهب.... وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت".(٣٩)

وفحوى قول سيبويه أن الفعل كلمة دالة بمادتها – أى جذرها اللغوى – على الحدث، وبصيغتها الصرفية على زمان وقوعه، ولذا كانت تعريفات النحويين بعد سيبويه تحوم حول هذه الدلالة المتضمنة للحدث والزمن(٤٠).

ومن ثم يرى البحث أن هذه الفتحة فى آخر الفعل الماضى المجرد ليست أصلا فى بناء الفعل الماضى، وذلك لأن الأصل فى البناء هو السكون، ولكن النحاة قد عدلوا عن هذا الأصل لعلة نحوية وهى علة التخفيف، تلك العلة القائمة على رفض الثقل النطقى، باعتباره علة أثرت فى اللغة صوتا وكلمة وتركيبا تأثيرا واضحا، إذ كان الثقل سببا فى اللجوء إلى النقيض، وهو الخفة، فلو بنى الفعل الماضى على السكون لأحدث ثقلا فى النطق.

والملاحظ أن القدماء حينما أقروا فكرة الخفة والثقل فى الحركات لم يكن عبثا أو اعتباطا بل كان مبنيا على واقع استقرائى، فالضمة قوية وثقيلة، لهذا كانت علم الإسناد، فوجدت مع العناصر الأساسية للجملة، وعادة ماتكون هذه العناصر أول الكلام أو فى كلام مستأنف، فتكون لها القدرة على تحمل الحركات الثقيلة.(٤١)

أمَّا الفتحة فلأنها أخف الحركات فناسبها أن تكون فى الفضلات، أما حركة الكسر فكانت متوسطة بين الفتح والكسر فى الخفة والثقل، فدخلت على بقية الأسماء للمخالفة، وفى

(٣٩) الكتاب ١٢/١

(٤١) ظاهرة التخفيف ص ٣٨٣

(40) Faculty. Ksu. Edu. Sa/9721/doclib.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المخالفة تعادل وخفة. (٤٢)

وقد ذهب **الأستاذ إبراهيم مصطفى** إلى أن الفتحة ليست علامة إعراب ولاتدل على شيء، وإنما هى الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التى يراد أن تنتهى بها الكلمة كلما أمكن، فهى بمثابة السكون فى لغة العامة.(٤٣)

هذا، وقد ذهب بعض المحدثين إلى مخالفة القدماء فى رأيهم القائل: ثقل الحركة وخفة السكون، يقول **الدكتور كمال بشر** : " إن هذا التعليل (تعليل القدماء الأصل فى المبنى أن يسكن) بالإضافة إلى ما يشتمل عليه من مغالطة منهجية يصف الحركات بالثقل إذا ما قورنت بالسكون " (٤٤) .

ويميل البحث إلى رأى القدماء فى أن الأصل فى البناء السكون والثبات والاستقرار، ولا يبنى على حركة إلا لموجب، فالبناء : لزوم آخر الكلمة سكونا أو حركة لغير عامل، والسكون أصل والحركة فرع فى المبنى.(٤٥)

ومن هنا تقع المشاكلة، فبعض المحدثين – كما أسلفنا – يرون أن أصل البناء بالتحريك لا التسكين، وعلى هذا يرون أن العلة فى بناء الفعل الماضى على الفتح هى الخفة، وأن كثرة استخدام الفعل الماضى فى اللغة إذا ما قيس بالمضارع والأمر كفيلة باختيار أخف الحركات له وهى الفتحة، ويكفى للتدليل على خفة الفتحة أنها الحركة الأكثر تكرارا التحريك عين الفعل الماضى فى العربية. (٤٦)

ويرى الباحث أن الأصل فى البناء السكون ؛ لأن السكون أخف من الحركة الخفيفة، ومع ذلك يرى أن بناء الفعل الماضى على الفتح أخف من بنائه على السكون، فمن أين تأتى هذه الخفة ؟!

قبل الإجابة عن هذا السؤال يجدر بى الإشارة إلى أن ظاهرة التخفيف نظرية متكاملة اتكأت عليها الدراسات النحوية بمستوياتها المختلفة. (٤٧)

---

(٤٢) ظاهرة التخفيف ص ٣٨٣

(٤٣) إحياء النحو ص ٥

(44) https//uqu-edu.sa

(٤٥) المقرب ٣١٨/١ ، وشرح الجمل لابن عصفور ٣٣١/٢ ، والمساعد ١/ ٣٢-٣٣

(46) https//uqu-edu.sa

(٤٧) ظاهرة التخفيف ص ٣٨٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتخفيف ظاهرة من الظواهر اللغوية التى تسرى فى شرايين اللغة العربية، وا
وجودها نطقا وتقنينا، والذى يؤكد ذلك أن التخفيف لم يكن قائما فى ذهن النحاة فقط
كان لدى كثير من القبائل، وشمل كثيرا من المناطق العربية باعتراف بعض الدر
المحدثين، والتخفيف يوضح جانبا كبيرا من عبقرية اللغة فى مراعاة الخفة فى سلوكها رغ
للثقل، ويوضح طبيعة العربية وحقيقة بنائها.(٤٨)

يقول الدكتور "**تمام حسان**" : " من مظاهر الطاقة التفسيرية فى النحو العربى ظا
التعليل لأحكام النحو وأقيسته، ولعل " طلب الخفة " أن يكون أوسع العلل العربية مج
تطبيق، وحسبه أن يجد اعترافا مؤكدا من علم اللغة الحديث ؛ إذ يجد لنفسه مكانا مهما ب
مبادئه تحت عنوان Economy effort أى ؛ الاقتصاد فى المجهود ".(٤٩)

فالتخفيف والثقل مصطلحان ينبغى أن يدور حولهما الحديث فى إطار الأداء النطقى
لأن الذوق والإحساس لهما كثيرارتباط بهما، لذا فهما مصطلحان يرتبطان أشد الارتبا
بالأداء النطقى لدى المتكلمين، فاللفظ الفصيح لايستطيع أحد أن يحكم بثقله أو خفته
بالنظر إليه ونطقه والتأمل فيه شكلا ودلالة، وحينما يصل الناطق إلى نهاية الكلمة أو نها
الجملة يستطيع المتكلم – من خلال إحساسه وذوقه – أن يحكم بالخفة أو الثقل ع
الصوت أو الكلمة أو الجملة.(٥٠)

أليس الفتح وسيلة تتشابه مع الحذف، فكلاهما من وسائل التخفيف التى يلجأ إليها النظ
اللغوى ليحافظ فى جوهره على فكرة الخفة هروبا من الثقل النطقى.(٥١)

وجدير بالذكر أن ظاهرة التخفيف قد فسرت كثيرا من الظواهر الصرفية والنحوية التى
كانت غامضة أمامنا.

ولعل ظاهرة التخفيف هى التى تفسر لنا –أيضا– العلة فى بناء الفعل الماضى
على الفتح ؛ وذلك لأن الفتحة من عناصر تطويل التركيب اللغوى، فالفعل الماضى إذا لم
يتصل به شىء مثل : " كَتَبَ " فإنه يتركب من ثلاثة مقاطع قصيرة (Ka + ta + ba)،

(٤٨) ظاهرة التخفيف ص ٩، ١٠
(٤٩) اللغة العربية والحداثة . مجلة فصول ص ١٣٧ .
(٥٠) ظاهرة التخفيف ص ٨٦ .
(٥١) ظاهرة التخفيف ص ٢٦١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمقطع القصير بهذا المعنى لايكون إلا مفتوحاً، أى أنه يقبل الزيادة عليه.

وعلى هذا فبناء الفعل الماضى على الفتح لم يأت من فراغ، وإنما جاء ليجعل المقطع الأخير من الفعل الماضى مفتوحا حتى يقبل الزيادة عليه، أى يقبل الإسناد إلى الضمائر المختلفة، فإذا زاد عليه شيء بأن طالت الحركة، أو أضيف إليه صامت آخر، لم يعد المقطع قصيرا، بل يتحول فى هذه الحالة إلى مقطع طويل.

وبناء الفعل الماضى على الأصل (السكون) يجعل المقطع الأخير مغلقا وغير قابل للزيادة عليه (للإسناد)، ولعل هذا أيضا هو الذى يفسر لنا بناء الأفعال الناقصة نحو : دعا، وسما، ورمى على الفتح المقدر، فقد تعاملت اللغة مع البنية العميقة لهذه الأفعال" دَعَوَ، سَمَوَ، رَمَيَ "، وذلك حتى يظل المقطع الأخير من الفعل مفتوحا وقابلا للإسناد إليه.

كما يتم العدول عن بناء الفعل الماضى المجرد المعتل الأجوف على الأصل (السكون) إلى البناء على الفتح حتى لايلتقى ساكنان فى آخر الفعل، وهوما ترفضه اللغة العربية، وذلك نحو : قال، باع، صاح،الخ.

وكذلك الحال فى الفعل الماضى المضعف الثلاثى ومزيده، نحو : مدَّ وشدَّ، وقرَّ، واستمدَّ، واستقرَّ، فإنه يتم فيه العدول عن البناء على الأصل (السكون) إلى البناء على الفتح، حتى لا يؤدي ذلك إلى التقاء ساكنين.

* كما توصل البحث أيضا إلى أن هذه الفتحة فى آخر الفعل الماضى المجرد إنما جاءت للتمييز بين الفعل فى حالة الوصل وحالة الوقف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خاتمة :

فإن هذا البحث (بناء الفعل الماضى بين القدامى والمحدثين) ليس إلا محاولة للاقتراب من حقيقة بناء الفعل الماضى على الفتح ، وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج نرصدها مجملة كما يلى : -

أولا : الفعل الماضى مبنى وليس معربا لأن الإعراب إبانة فى اللغة، وفى الاصطلاح يدل الإعراب على المدلول الوظيفى للكلمة (فاعل أو مفعول أو نحوه)، والفعل الماضى لايأخذ ولا يحتل أى موقع من هذه المواقع، والفتحة فيه لاتدل على ذلك.

ثانيا : الفتحة فى بناء الفعل الماضى المجرد تعد ميراثا من اللغات السامية، وكانت تعد فى اللغة السامية وحدة صرفية (مورفيم) تحمل معنى، وهو إسناد الفعل الماضى المجرد إلى المفرد الغائب المذكر.

ثالثا : تعريف النحاة القدماء للفعل كان يرتكز على عنصرين فقط، وهما الحدث والزمن، ولم يلتفتوا فى تعريفهم للفعل إلى العنصر الثالث وهو النسبة – أى الإسناد إلى الفاعل.

رابعا : الفعل الماضى المجرد مبنى فى الأصل على السكون وليس الفتح، وقد تم العدول عن هذا الأصل طلبا للخفة، ورفض الثقل النطقى، باعتباره علة أثرت فى اللغة صوتا وكلمة وتركيبا تأثيرا واضحا، إذ كان الثقل سببا فى اللجوء إلى النقيض، وهو الخفة، والعدول ظاهرة لغوية تتحقق على جميع مستويات اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والأسلوبية.

خامسا : ظاهرة التخفيف قد فسرت كثيرا من الظواهر الصرفية والنحوية التى كانت غامضة أمام النحاة والباحثين، ولعل تلك الظاهرة – أيضا– هى التى تفسر لنا العلة فى بناء الفعل الماضى المجرد على الفتح، وذلك لأن الفتحة من عناصر تطويل التركيب اللغوى، وبناء الفعل الماضى على الفتح يجعل المقطع الأخيرمنه مفتوحا حتى يقبل الزيادة عليه، أى يقبل الإسناد إلى الضمائر المختلفة، والدليل على ذلك بناء الأفعال الناقصة نحو : دعا، سما،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رمى على الفتح المقدر، فقد تعاملت اللغة مع البنية العميقة لهذه الأفعال (دعو، سمو، رمى)، وذلك حتى يظل المقطع الأخير من الفعل مفتوحا وقابلا للإسناد إليه.

سادسا : الفتحة فى بناء الفعل الماضى المجرد قد جاءت للتمييز بين الفعل فى حالة الوصل وحالة الوقف، لأنَّه لايوقف على متحرك بحركة قصيرة فى اللغة، فالوقف علامته السكون.

ويعد، فهذه هى أهم النتائج التى توصلت إليها فى هذا البحث، والله أسأل الرشاد والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قائمة المراجع والمصادر

أولاً: المراجع العربية:

١. إحياء النحو – تأليف الدكتور إبراهيم مصطفى – القاهرة ١٩٥٩ م.

٢. ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان الأندلسى – تحقيق وشرح ودراسة الدكتور رجب عثمان محمد ـــ مراجعة د. رمضان عبد التواب – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

٣. الأصول فى النحو لابن السراج – تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلى – الأردن – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

٤. إعراب الحديث النبوى، لأبى البقاء العكبرى – تحقيق عبد الإله نبهان - دمشق – ١٩٧٧ م.

٥. الاقتراح للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، حقق أصوله ووثق نصوصه وقدم له طه عبد الرءوف سعد ، مكتبة الصفا ، القاهرة ـــ ١٩٩٩ م .

٦. أمالى ابن الشجرى – تأليف هبة الله بن على محمد بن حمزة الحسنى العلوى – تحقيق ودراسة الدكتور محمود محمد الطناحى مكتبة الخانجى – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م

٧. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصارى – ومعه كتاب عدة السالك لمحمد محيى الدين عبد الحميد – بيروت – بدون تاريخ .

٨. الإيضاح فى شرح المفصل لابن الحاجب – تحقيق وتقديم د. موسى بناى العليلى – بغداد – بدون تاريخ.

٩. بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، للفيروزا بادى – تحقيق الشيخ محمد على النجار – القاهرة – ١٩٦٣ – ١٩٧٣ م.

١٠. التبصرة والتذكرة للصيمرى – تحقيق د. فتحى أحمد مصطفى – مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى ـــ جامعة أم القرى ـــ مكة المكرمة ـــ ١٩٨٢ م.

١١. تذكرة النحاة لأبي حيان – تحقيق د. عفيف عبد الرحمن – بيروت – ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٢. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك – تحقيق محمد كامل بركات – القاهرة ١٣٨٨ هـ – ١٩٨٦ م.

١٣. التطور النحوى فى اللغة العربية لبرجشتراسر – مكتبة الخانجى – ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

١٤. تفسير القرطبى = الجامع لأحكام القرآن – القاهرة ١٩٦٧م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٥. التوطئة لأبي علي الشلوبين – تحقيق د. يوسف أحمد المطوع – الكويت – ١٩٨١م-١٤٠١هـ.

١٦. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني – القاهرة – بدون تاريخ.

١٧. خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي – تحقيق وشرح عبد السلام هارون – القاهرة – ١٩٨٩م- ١٤٠٩هـ.

١٨. دراسات نقدية في النحو العربي للدكتور عبد الرحمن محمد أيوب – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٧٥ م.

١٩. الدرر اللوامع على همع الهوامع للشنقيطي - القاهرة – ١٣٢٨ هـ.

٢٠. ديوان أمية بن أبي الصلت – تحقيق شولتهس – ليبسج ١٩١١م.

٢١. شرح التصريح، للشيخ خالد الأزهري – القاهرة ١٣٢٥هـ.

٢٢. شرح الجامع الصغير في النحو لابن هشام الأنصاري ـــ تأليف الدكتور أحمد محمود الهرميل – ١٤٠٨ ه ـــ ١٩٨٨ م .

٢٣. شرح جمل الزجاجي لابن عصفور – تحقيق صاحب أبو جناح – العراق – ١٩٨٢م-١٤٠٢هـ.

٢٤. شرح شواهد المغني للسيوطي - القاهرة – بدون تاريخ.

٢٥. شرح الكافية للرضي – نشره يوسف حسن عمر - ليبيا – بدون تاريخ.

٢٦. شرح المفصل لابن يعيش - بيروت – بدون تاريخ.

٢٧. ظاهرة التخفيف في النحو العربي – تأليف الدكتور أحمد عفيفي-الدار المصرية اللبنانية-الطبعة الأولى-١٩٩٦م .

٢٨. القاموس المحيط، للفيروزا بادي – القاهرة ١٩١٣ م.

٢٩. الكتاب لسيبويه – تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون – الطبعة الثالثة – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٣٠. لسان العرب لابن منظور – القاهرة – طبعة دار المعارف – بدون تاريخ.

٣١. اللغة العربية والحداثة – مجلة فصول – القاهرة – عدد ٣ – المجلد الرابع لعام ١٩٨٤ م.

٣٢. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي – تأليف الدكتور رمضان عبد التواب – الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م - الخانجي – القاهرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣٣. المساعد على تسهيل الفوائد، شرح ابن عقيل على كتاب التسهيل لابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات – دار المدنى – ١٩٨٤ م – ١٤٠٥ هـ.

٣٤. معانى القرآن للفراء – تحقيق الأستاذ محمد على النجار - القاهرة-١٩٧٢م.

٣٥. المعرب الجواليقى – تحقيق أحمد محمد شاكر - القاهرة – ١٣٦١ هـ.

٣٦. مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام المصرى – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - القاهرة - بدون تا ريخ.

٣٧. المقتضب للمبرد – تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة – القاهرة – ١٣٩٩هـ.

٣٨. المقرب لابن عصفور – تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى، وعبد الله الجبورى – بغداد ١٩٨٦م.

٣٩. المنصوبات فى كتاب شرح لمع ابن جنى المسمى بالغرة لابن الدهان – دراسة وتحقيق داليا سامى أحمد – رسالة ماجيستير مخطوطة بآداب المنوفية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٤٠. همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطى – القاهرة – ١٣٢٧ هـ.

ثانياً: مراجع شبكة الانترنت:

- https//uqu-edu.sa
- www.majma.org.jo/index.php/2009
- Faculty.ksu.edu.sa/9721/docclib

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Prepared by Dr. Dalia Samy Ahmed

Abstract

This search discusses some questions about fixed construction of past verb between classical and modern scholars, as speaking about fixed construction of the past verb is so confusing. Many questions are raised while discussing past verb and its construction, including: why was it fixedly constructed while there is "damma", "fatha"and"kasra" at its end? Why wasn't it analyzed as present verb and why was it fixedly constructed on movement, while the basis of fixed construction is "sukun" and why was this movement "fatha" used in particular? What is the origin of this "fatha" and what does it refer to? Is it just an absolute structural mark or a suffix pronoun?

This thesis is about fixed construction of past verb between classical and modern scholars. It, in this context, adopts controversial idea through which it provides an answer to some questions raised by many researchers and grammarians.

This thesis follows the analytical descriptive method that describes efforts and opinions of classical grammarians, taking into consideration participations of modern Arab grammarians who helped us to see some aspects of grammatical lesson.

This thesis tries to reach the fact of fixed construction of the past verb on "fath" and the origin of this movement based on grammatical origins, grammatical theories, inputs and rules.

This research reached many results, including that "fatha" in constructingabstract past verbis a heritage of our Semite languages.It was represented in Semite languages as a morphology (Morpheme) which carries a meaning, it is the correct references of abstract past verb to third person muscular singular pronoun.

Alleviation phenomenon explained many of grammatical phenomena which used to be mysterious for researchers and grammarians. This phenomenon may also explain the reason for the fixed construction of the past verb on "fath".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (١٥)

التراكيب المسكوكة

"دراسة فى سياقات الخطاب النبوى"

إعداد

د / سحر سويلم راضى

مدرس اللغويات (النحو والصرف)- قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة المنوفية

السنة ٢٨ العدد (١١١) اكتوبر ٢٠١٧م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التراكيب المسكوكة

دراسة في سياقات الخطاب النبوي

د . سحر سويلم راضي

مدرس اللغويات (النحو والصرف)

قسم اللغة العربية (كلية الآداب / جامعة المنوفية)

ملخص البحث

تأتي أهمية هذا البحث الموسوم (التراكيب المسكوكة - دراسة في سياقات الخطاب النبوي) الذي يتناول الأنواع المختلفة للتراكيب المسكوكة في الحديث الشريف ،أن التراكيب المسكوكة لم تأخذ حظها من الدراسات اللغوية في اللغة العربية ، كما أن الدراسات اللغوية والنحوية لم تتناول الخطاب النبوي الشريف بالقدر الذي يستحق .

وينقسم هذا البحث إلى مقدمات تشمل التعريف بمصطلحات البحث الرئيسة ، وهي :

الخطاب ،و الخطاب النبوي ، والسياق .

ومبحثين رئيسين :

المبحث الأول : أنواع التراكيب المسكوكة وخصائصها اللغوية العامة ،ونتناول فيه :

أولاً : أنواع التراكيب المسكوكة ، وثانياً : الخصائص اللغوية العامة للتراكيب المسكوكة

والمبحث الثاني : سياقات التعابير المسكوكة في الخطاب النبوي

ويتوزع على ثلاثة أقسام : أولاً : السياق اللغوي. وثانياً : سياق الموقف أو سياق الحال .وثالثاً : السياق الثقافي والاجتماعي والحضاري

أما أهم النتائج التي توصل لها البحث ، هي :

. إن أهمية استعمال التراكيب المسكوكة بشكل عام في الخطاب النبوي له مدلول علمي و عملي وتداولي؛ لأن هذا الخطاب موجه بصفة عامة إلى جميع الشرائح الاجتماعية ، وبالتالي فهو استعمال للغة هذه الجماهير ، و له أهمية قصوى في مدى التغيير الذي يحققه هذا الخطاب من خلال إثارة الحس المشترك لجميع الفئات الإنسانية على مر الأزمان .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

. يتلخص الفرق بين الأمثال والحكم من حيث الدلالة ، في الهدف من الاستخدام ففي المثل هو تقريب المعنى الذي يريده المتكلم إلى المتلقي ، وهي حيادية القيمة ، أي أنها لا تحمل قيماً ،أما الحكمة الهدف منها قيم إنسانية عامة ، وكذلك قيم اجتماعية تعبر عن مجتمع محدد بسياقات تاريخية واجتماعية وثقافية لها بعض الخصوصية .

. من مزايا النظرية السياقية في دراسة الخطاب النبوي تركيزها على الجوانب الوظيفية من اللغة، التي تعد الجوانب الأهم نظراً إلى أن الوظائف اللغوية هي التي ابتكرت من أجلها اللغة البشرية بوصفها أهم وسائل الإبلاغ على الإطلاق ، وبالمقاصد والأهداف المدركة من الخطاب .

. عند التحليل للسياق اللغوي فقط لبعض التراكيب تبقى الدلالات المتعددة محتملة ، وتفيد النظرية السياقية في تحديد دلالة محددة آنية للتركيب عند كشف السياقات الأخرى الحالية والاجتماعية والثقافية .

. إن الجانب البلاغي في لغة التراكيب المسكوكة في الحديث الشريف يدخل في تشكيل الخطاب ، كآلة رئيسية لتحقيق تواصل مميز مع التركيز على طبيعة الخطاب الإقناعي ، ذلك بتوظيف أدوات لغوية خاصة بكل موقف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مدخل :

تعتبر ظاهرة المسكوكات اللغوية (idiomatic expressions) ظاهرة لغوية عامة في جميع اللغات الطبيعية ، وهي تعكس الخلفيات الحضارية والثقافية والاجتماعية ، كما تعكس القيم الدينية والأخلاقية للمتحدثين بها ، وهذه التراكيب من أكثر ما يقابل متعلم اللغة الأجنبية صعوبة ، وكذلك المترجم ؛ وذلك لعدم استجابة مثل هذه الأساليب للترجمة الحرفية التي تفقدها المعنى والمغزى الذي وضعت من أجله .

وتكثر هذه الظاهرة في أساليب اللغة العربية على جميع مستوياتها ، فقد وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، وشاعت في أساليب السنة النبوية ، ووردت في كلام العرب شعراً ونثراً ، قديماً وحديثاً على جميع مستويات المتحدثين باللغة .

ويطلق مصطلح التعابير المسكوكة على العبارات الثّابتة ، التي لا تتغيّر ، لا من جهة التركيب ، أو البنية ،أو المفردات ، فالتراكيب المسكوكة هي التراكيب المغلقة من جهة التركيب والبنية ، ومن جهة المفردات. ويجب أن نفرق بين التراكيب المسكوكة ، والأساليب المسكوكة مثل :أساليب التعجب ، وأساليب المدح والذم التي تعد مسكوكة ، أي: مغلقة في التركيب النحوي ، والبنية الصرفية ، ولكن مفرداتها حرة ، فنستطيع أن نستبدل مفردات مختلفة تأخذ نفس البنية والتركيب ، فنقول : ما أجملَ الربيع ،، وما أحسنَ الصنيع ، فالتركيب واحد ، والبنية واحدة ، ولكن المفردات التي حلت في البنية مختلفة ، وقد تحدث الدكتور تمام حسان عن مثل هذه الأساليب ، فقال:" وإنما يقوم التعبير بهذه الخوالف الأربع جميعًا مقام التعبيرات المسكوكة كما سبق في التعجب، فالتعبير هنا بكلماتٍ لا تتغيّر صورتها ولا يتغير ما تقرر لها من الرتبة، فهي على حد تعبير الأشموني جارية مجرى الأمثال " (١)، ومن الواضح أن الدكتور تمام حسان يقصد بالكلمات ،هي الصيغة أو البنية الصرفية ، ولا يقصد بها المفردات المعجمية التي سبق وذكرنا أنها حرة ، وليست مغلقة .

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ١١٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتأتي أهمية هذه الدراسة من أن التراكيب المسكوكة لم تأخذ حظها من الدراسات اللغوية في اللغة العربية ، كما أن الدراسات اللغوية والنحوية لم تتناول الخطاب النبوي الشريف بالقدر الذي يستحق . وقد جمع هذا البحث بعض أنواع التراكيب المسكوكة التي وردت في الخطاب النبوي ، وقد ساعدنا ذلك في وضع حدود واضحة بين هذه الأنواع وفقاً لتحليل المستويات اللغوية ، ذلك أن كثيراً من اللغويين قديماً وحديثاً لا يضعون حدوداً فاصلة بين الأنواع المختلفة لتلك التراكيب .

ويتقسم هذا البحث إلى تمهيد يشتمل على التعريف بمصطلحات البحث الرئيسة ، وهي : الخطاب ، والخطاب النبوي ، والسياق .

ومبحثين رئيسين :

المبحث الأول : أنواع التراكيب المسكوكة وخصائصها اللغوية العامة ،ونتناول فيه :

أولاً : أنواع التراكيب المسكوكة ، وهي: المثل ، والحكمة ، والتعبير الاصطلاحي ، وتعريفاتهم، والخصائص اللغوية العامة التي تميز كل نوع عن الآخر .

ثانياً : الخصائص اللغوية العامة للتراكيب المسكوكة : ويتناول الخصائص اللسانية التي تميزها بشكل عام عن التعابير الحرة .

والمبحث الثاني:سياقات التراكيب المسكوكة في الخطاب النبوي ، ويتوزع على ثلاثة أقسا

أولاً : السياق اللغوي : ونتناول عناصر السياق اللغوي، هو مستوى الكلمات، وما يرتبط با من المعجم ، والأبنية ، ومستوى التركيب الذي يتناول الجملة ككل .

ثانياً : سياق الموقف أو سياق الحال : ونعرض فيه للعناصر غير اللغوية التي تساعدنا تحديد المعنى المقصود ، وذلك كشخصية المتكلم ، وشخصية المخاطب ، وما بينهما علاقات ، وما يحيط بالكلام من ملابسات ، وظروف ذات صلة به .

ثالثاً : السياق الثقافي والاجتماعي والحضاري : ونتناول فيه مدى اختلاف دلالة التراـ ن حيث القيمة التعبيرية ، والتأثيرية عند الأشخاص ، سواء المتكلم أو المخاطب باخـ ستوياتهم الاجتماعية ، وخلفياتهم الثقافية ،وموروثاتهم الحضارية ، واختلاف أفراد ا غوية الواحدة في إدراك ذلك بحسب تلك الاختلافات .

خاتمة لأهم النتائج التي توصل إليها البحث ، وقائمة بأهم المصادر والمراجع .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التمهيد :

. مفهوم الخطاب :

مصطلح الخطاب (٢) كان قبل ذلك مصطلحاً قد احتكره الأسلوبيون بوصفه مصطلحاً ينتمي إلى علم الأسلوب ولا علاقة لعلم اللغة به ، وقد كانت أية دراسة تهتم بالمتلقي ، هي أيضا دراسة لا علاقة لعلم اللغة بها ؛ وذلك لأن النظرة التقليدية للدراسات اللغوية ترى أن علم اللغة ينظر إلى النصوص بوصفها أبنية ، وتراكيب ، وأصوات لها دلالات محددة ، ومصطلح الخطاب يتعامل مع النص كاملاً ، بوصفه وحدة لغوية ، ويتشكل من متتالية تكون لها رسالة لها بداية ونهاية ، أو كلاماً له أول وآخر . ويعبر Simon Dick عن مفهوم الخطاب في النحو الوظيفي بقوله :" لا يتواصل مستعملو اللغة الطبيعية عن طريق جمل منعزلة ، بل أنهم يكونون من هذه الجمل قطعاً أكبر وأعقد : الخطاب "(٣)، وكل خطاب له اتجاه معين ، يحمل وجهة نظر محدودة ، ويكون التأثير حسب المكان والزمان .

وقد عارض د بنفيسيت المنطلق التقليدي للدراسات اللسانية . والذي يمثله هاريس وبلومفيلد ، والذي يعتبر الجملة هي الوحدة اللسانية الكبرى ، فأسس أكبر مدرسة نظرت لمفهوم الخطاب نظرة غيرت جميع آليات الدراسة اللسانية ، وذلك بانطلاقها من إلغاء الجملة كأعلى مستوى للدراسة اللسانية ، مما أحدث ثورة على اللسانيات التقليدية . (٤) .

وتختلف الدراسة التي تتناول لغة الخطاب عن الدراسة التي تتناول لغة النص ، ذلك أن دراسة النص تكتفي في التناول بالعنصر الدلالي ،أي المعنى العام الذي يحمله النص ، والصورة التي يرسمها في الذهن ، لكن مفهوم الخطاب يتعدى في الدراسة إلى ما يسمى بالعنصر الوظيفي ، الذي نعني به الاستعمال ، ذلك أن التركيب الواحد قد يوظف بأكثر من طريقة ، وهو ما يجعل التراكيب المسكوكة تتميز بتعدد الدلالات باختلاف الاستعمال . خاصة إذا علمنا أن التعبير المسكوك قد يتركب من كلمات قليلة ، ويتضمن دائماً معاني

(٢) انظر : معجم المصطلحات اللغوية ١٥٣ .
(٣) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ١٧ ، ١٨ .
(٤) انظر : التعابير المسكوكة و دورها في الخطاب السياسي ١٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كثيرة ، ويحتاج فهم هذا التعبير إلى عناصر أخرى غير العنصر اللفظي الذي نعني به المفردات المعجمية ، والأبنية الصرفية ، والتركيب النحوي الذي يتكون منه هذه التعابير، فالخطاب هو إنجاز في الزمان والمكان ،وقيامه يقتضي وجود شروط من أهمها : المخاطَب والمخاطِب ، وتحديد كيان الخطاب ، ومكونات تعلن عن حدوثه ؛ وهي الأصوات والمفردات والتراكيب والدلالة والتداول " (٥) .

. الخطاب النبوي: كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- بصفته نبياً ، ورسولاً ، وقائداً يتحمّل مسؤولية تبليغ الإسلام إلى الناس ، ومسؤولية القيادة بشتى صورها السياسية والفكرية والروحية ، فلا مناص له من استخدام جميع وسائل الكلام ؛ لاستيفاء المهمة العظيمة التي حملها ؛ لذلك كان لا بدّ لكلامه أن يتطابق مع مقتضى الحال ، وكان . صلى الله عليه وسلم . حريصاً على أن يخاطب كل قوم بل كل فرد بقدر حاله، وأن تكون ألفاظه وأساليبه ملائمة ؛ لما يوظفه في مخاطبتهم من صور يقرب بها البعيد ، ويوضح بها الغامض .

والخطاب النبوي لا يوجه إلى فئة محددة ثقافياً أو اجتماعياً أو عرقياً ، فهو لا يتوقف حسب الزمان والمكان، بل يتجاوزهما ، وبالطبع فإن المخاطب يحتل الركن الأساسي في الخطاب ورسولنا الكريم محمد . صلى الله عليه وسلم . كان يستخدم الأسلوب الذي ييسر الفهم ويسهل عملية التلقي ، والتواصل مع جميع أنماط البشر.

ويمثّل الخطاب النبوي جزءاً من السنة النبوية التي هي بمثابة المرجع الثاني للشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم، مما جعله موضع اهتمام العلماء والدارسين المسلمين في تفسير نصوصه ، وتحليل مضمونه ، واتفقوا على أن من متطلبات تفسير الخطاب النبوي وفهمه فضلاً عن السياق اللغوي- هو السياق الموقفي أو المقامي ؛ ذلك لأن الخطاب النبوي، كالخطاب الاجتماعي ، ولا يمكن تحليله وتجلية دلالاته على نحو صحيح ودقيق إلا بالنظر إلى المقام الذي أجري فيه الخطاب، وكان من مقتضى اتصاف كلام الرسول-صلى

(٥) التعابير المسكوكة و دورها في الخطاب السياسي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليه وسلم- بالبلاغة والفصاحة اهتمامه بعناصر المقام للحدث الكلامي من المشاركين ، وموضوع الخطاب، والبيئة، وهدف الخطاب ، وغيره ، لذلك، إن النظر في سياق المقام يساعد على بيان الدلالة الحقيقية للكلمة، أو الشكل اللغوي الذي قد يختلف عن دلالتها المعجمية ، إضافة إلى ذلك، إن النظر في المقام بدوره قادر على استكشاف القيم الاجتماعية والثقافية والعادات والأعراف السائدة في العهد النبوي ، وعلى هذا الأساس، يسعى هذا البحث إلى كشف أهمية المقام في تفسير عناصر الخطاب، والتي ينبغي الاعتناء بها ، وتقديم معالجة جديدة في تحليل الخطاب النبوي ، ونماذج تطبيقها عليه.

وعند دراسة لغة الحديث النبوي في عمومه ، فإننا نتوقف عند ما له دلالة من ظروف الخطاب ، وفي مقام القول، و ثقافة المتكلم وعقيدته، وثقافة المتلقي وقناعاته ؛ لذلك يتعين على مناهج البحث اللغوي للخطاب النبوي ألا تقتصر في تفسيره على مبادئ لغوية محضة ، وإنما ينبغي لها أن تستمد بعداً جديداً يجاوز تلك المبادئ اللغوية الخالصة ، ويستشرف اللغة من خلال زاوية واسعة ، هي السياق المقامي أو الاجتماعي الذي تستعمل فيه اللغة ، وما يصاحب هذا السياق من عوامل خارجية تؤثر في استعمال اللغة كالإطار الاجتماعي ، وظروف المتكلم ، والمخاطب والغرض وغيره ، ومن أهم وسائل الإقناع ، هو الحجاج العقلي، أو التأثير العاطفي ، وكما استخدم النبي . صلى الله عليه وسلم . الحجج المنطقية العقلية ، في الإقناع العقلي ، فقد استخدم . صلى الله عليه وسلم . التراكيب المسكوكة ، بهدف التأثير العاطفي .

وقد ورد في السنة النبوية الاستشهاد بأنواع مختلفة من التراكيب المسكوكة ، ومن أمثلة الاستشهاد بالأمثال والحكم العربية القديمة ، ومن أمثلة ذلك قول النبي . صلى الله عليه وسلم :: « أصدق كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد: ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل » (٦)، وأيضاً قوله . صلى الله عليه وسلم . :«إن مما أدرك النّاس مِنْ كَلَام النبوة الْأُولَى: إِذَا لَم تستحِ فافعل ما شِئْتَ» (٧)، كما كان الصحابة يستشهدون من كتب الحكمة ، ومن ذلك ما روي

(٦) صحيح البخاري ٥/ ٤٣ ، باب : أيام الجاهلية .
(٧) سنن أبي داود ٢٥٢/٤، باب : في الحياء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن "عَائِشَةَ . رضي الله عنها . أنها قَالَت لِعبيد بن عمير: قد آنَ لَكَ أَنْ تزورنا، فقَال: أَقُول يا أُمَّهْ كما قَال الأَوَلُ: زُرْ غِبا تَزْدَد حباً " (٨) ، وعن عمران بن حصين قال :« قال النبي صلى الله عليه وسلم: الحياء لا يأتي إلا بخير، فقال بشير بن كعب : مكتوب في الحكمة: إن من الحياء وقاراً، وإن من الحياء سكينة ، فقال له عمران: أحدثك عن رسول الله ، وتحدثني عن صحيفتك » (٩)، وغير ذلك ، وجميع الأمثلة السابقة من كلام النبي . صلى الله عليه وسلم . أو من كلام الصحابة . رضوان الله عليهم . قد ورد في النصوص نسبتها إلى مصادرها ، أو أنها من كلام السابقين .

السياق :

إن مصطلح (السياق) قد ورد عند اللغويين القدماء كثيراً ، إلا أنه يعدّ من المصطلحات التي لم يتم تحديد ماهيتها في فنون اللغة العربية قديماً ، فلا تكاد تجد تعريفاً صريحاً بماهيته ، ولكنهم يستدلّون به ، ويشيرون إلى دلالته ، من غير أن يحددوا معناه النظري تحديداً صريحاً (١٠) ، وهو ما أطلقوا عليه مناسبة المقال للمقام ، فقد تناولها اللغويون القدماء ، وأدركوا أهمية المقام في فهم النصوص ، ونصّوا على ضرورة اعتباره في تفسير المعنى، وهو المفهوم الذي طرحه السكاكي في ربط المعنى بسياق الحال ،حيث يقول:" اعلم أن المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة ، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره "(١١) ، كما نجد جهوداً عظيمة لعبد القاهر الجرجاني في هذا المجال ، ويعلق الدكتور تمام حسان على أهمية مبادرة عبد القاهر ، وقيمتها في الدراسة اللغوية الحديثة ، فيقول: " ولقد كانت مبادرة العلامة عبد القاهر – رحمه الله – بدراسة النظم ، وما يتصل به من بناء وترتيب وتعليق ، من أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية قيمة ، في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق، أو التركيب"(١٢) ، إلا أن الدراسة المنهجية لفكرة المقام لم تتبلور على أيديهم

(٨) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٨٦، باب : ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات .
(٩) صحيح البخاري ٨/ ٢٩، باب : الحياء .
(١٠) انظر: نظرية السياق ، دراسة أصولية ٣٥ .
(١١) مفتاح العلوم ١٦١ .
(١٢) اللغة العربية معناها ومبناها ١٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لتصبح مفهوماً منتظماً في الدراسات اللغوية ، لأن فضل ذلك يعود إلى اللغويين المحدثين خاصة الغربيين، إلا أن سبقهم في التنبه إلى الفكرة ذاتها ،منذ ذلك العصر ، وهي اعتبار المقام والمقال . كما يذكر الدكتور تمام حسان . " يعد الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة " (١٣)، وخلاصة ما ذُكِرَ لدى العلماء المتقدمين أن للسياق المقامي امتدادات كالسياق المقالي ، حيث يمتد إلى كل الأمور ذات الصلة بالكلام، من حال الخطاب ، والمتكلم والمخاطب ، أو الجميع ، ومعنى الكلام يختلف باختلاف تلك الأحوال ،فاللغة لاهي قواعد ، ولاهي أصوات تؤدي الغرض لوحدها ،بل نتيجة تفاعل إنساني ،وبيئي ، وحضاري ،واجتماعي ، وسياسي ، واقتصادي ،وغير ذلك من الأنظمة التي تستعمل اللغة .

وتعد النظريات السياقية في تحليل الخطاب جزءًا من نظريات تفسير الدلالة ، وما نقصده بالسياق في هذا البحث هو كل ما يخص الحدث اللغوي الذي أنتج الخطاب ، سواء كان تعلقاً لفظياً أو حالياً ، ونقصد باللفظي هو ما يعرف بالعناصر اللغوية الملفوظة ،وعلى ذلك فالسياق نوعان: السياق اللغوي (أو المقالي)، أي : العبارات المكونة والسابقة واللاحقة ذات الترابط النحوي أو المنطقي .والسياق المقامي: ما ينتظم القرائن المقامية التي تفسر الغرض الذي جاء النص لإفادته، سواء كانت قرائن في الخطاب ذاته ، أو في المتكلم ، أو في المخاطب أو في الجميع ، أو بتعبير آخر أن السياق هو الذي يشير إلى النواحي المباشرة للنص ،والتي تمكن ملاحظتها أثناء حدوث الكلام مثل الإطار والمشاركين والنشاطات التي وقعت فيه، أو هو البيئة المحيطة بالنص (١٤) .

فالسياق يعد الحل الأمثل للكثير من إشكالات الخطاب ، فهو القرينة الفنية ، الذي يكشف الوجه المراد من النص ، فإذا كانت الدلالة تمثل محور الدراسات اللغوية ، فإن السياق يكاد يمثل محور الدلالة ، فالتركيب تختبئ فيه إشارات ودلالات مختلفة ، والسياق هو الذي المراد من تلك الإشارات والدلالات المتعددة .

(١٣) اللغة العربية معناها ومبناها ٣٣٧.
(١٤) انظر : نظرية السياق دراسة أصولية ٦٣ ،ومعجم المصطلحات اللغوية ١١٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلا أننا في الحقيقة لا ينبغي علينا المبالغة في التعويل على النظريات السياقية التي تركز على الجوانب غير اللغوية على حساب الدراسة اللغوية للعلاقات المكونة للجملة الواحدة ، والعلاقات التي تربط الجمل ببعضها عن دراسة النص أو الخطاب ، كما جنحت بعض المدارس الأوربية والأمريكية ، ونجد أن المبالغة في دور السياق في صنع المعنى قد يجنح إلى الحد الذي أغفلت معه الوظيفة الإحالية والإشارية للمفردات والجمل اللغوية ، لدرجة أننا نجد أن بعض السياقيين يواجهون صعوبة في الاقتناع بأن للألفاظ معاني معجمية أساسية قبل دخولها في السياق ، فدور السياق يجب أن يقوم بمهمة كشف ما يصعب تفسيره من خلال العناصر اللغوية وحدها ، أو يقوم بالمهمة الترجيحية التي تبدو في تحديد الدلالة المقصودة ، وإقصاء الدلالات غير المقصودة ، ومنه تستقي العناصر اللغوية دلالاتها ، فكل كلمة تمتلك إمكانات معينة، كل منها يبرز في موضعه المناسب، وليست كالماء الذي لا يملك لوناً محدداً، إنما يتلون بلون الإناء الذي يوضع فيه .

المبحث الأول : أنواع التراكيب المسكوكة وخصائصها اللغوية العامة :

أولاً : أنواع التراكيب المسكوكة : إن التعابير مجال خصب تجمع صيغًا لغوية متعددة تنتمي إلى نفس العائلة أهمها : الأمثال والحكم، والتعابير الاصطلاحية والنادرة ، والقول المأثور والنكتة ،إلا أن المادة اللغوية التي سوف يتناولها البحث تقتصر على الأمثال ، والحكم ، والتعابير الاصطلاحية ، وهي الأنواع التي وردت في الحديث النبوي الشريف .

المثل : تعد الأمثال من الأشكال الأدبية التي تعد نتاج فكر ، وأحداث وتجارب للحياة اليومية ، ولم يفرق كثير من اللغويين الأوائل بين مصطلحي المثل والحكمة ، فنجدهم عند تعريف المثل يطلقون عليه أنه حكمة : " قال أبو عُبَيد: الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تعارض كلامها ، فتبلغ بها ما حاوَلَتْ من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ،وحسن التشبيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

، وقد ضربها النبي صلى الله عليه وسلم وتمثل بها هو ، ومن بعده من السلف" (١٥) ، كما عرفه الفارابي :" المثلُ ما تراضاه العامّة ، والخاصة في لفظه ومعناه ، حتى ابتذلُوه فيما بينهم، وفاهُوا به في السراء والضرّاء، واستدرُّوا به الممتنع من الدّر، ووصلوا به إلى المطالب القصيّة، وتفرّجوا به عن الكرب والمُكرِمة " (١٦) ، كما نجد من يعرف الأمثال تعريفاً ينطبق على جميع التعابير المسكوكة ، كما جاء في المعجم الوسيط أن المثل :" جملة من القول مقتطفة من كلام ، أو مرسلة بذاتها ، تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهة ، دون تغيير" (١٧). أما تعريف المثل بالمفهوم الذي نقصده ، فهو الذي يرتبط في الأساس بما يدل عليه الأصل الثلاثي (م ث ل) ، وهو معنى الشبه والنظير، قال أبو هلال العسكري :"أصل المثل : التماثل بين الشيئين في الكلام" (١٨)، كما نجد تعريف الميداني:" المثل مأخوذ من المثال ، وهو قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالأول ، والأصل فيه التشبيه "(١٩) فنجد فى هذا التعريف توضيحاً لحقيقة المثل ، فهو يضرب في حالات مشابهة لمورده الأصلي، كما يظل مثلاً يضرب ، وإن جهل أصله ، و لا يغير لفظه في أية حالة من حالات استعماله (٢٠) .

ومن خلال هذا العرض يمكن أن نضيف تعريفاً للمثل ، يخلص فى أنه هو تركيب ثابت شائع موجز ، يعتمد كثيراً على التشبيه صائب المعنى ، تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة ، ومن ثم جعل بعض العلماء التشبيه سمة أساسية في المثل ، ونرى أن هذه السمة صالحة لكثير من الأمثال ، وليس شرطاً توافرها في كل الأمثال .

والمثل يتسم بسمات وخصائص التعابير المسكوكة . والتي سوف نذكرها . إلا أنه يتميز وحده .كما سبق وذكرنا . بأنه كثيراً ما يعتمد على التشبيه ، فللتشبيه مكانته في كلام العرب ، ويشرح عبد القاهر وظيفة التشبيه فى قوله :" وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين ، حتى يختصر ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المشئم والمعرق

(١٥) المزهر في علوم اللغة وانواعها ١/ ٣٧٤ .
(١٦) البلغة إلى أصول اللغة ١٢٤ .
(١٧) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ٢/ ٨٨٨ ، وانظر : معجم المصطلحات اللغوية ٤٠٧ .
(١٨) جمهرة الأمثال ١/ ٧ .
(١٩) مجمع الأمثال ١/ ٥ .
(٢٠) انظر : الأمثال العربية القديمة ٢٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"([21]). و التشبيه في الأمثال يبلغ قمة البلاغة ، ويحتل ذروتها ، ذلك أن مضارب الأمثال تكون عادة من المعاني المعقولة التي قد يصعب تصورها ، ومن ثم يلجأ الناس إلى ضرب الأمثال لها بأمور مادية ، وأحداث واقعية ، حتى تكون في صور حسية منتزعة من البيئة التي تحيط بالمتلقي .

الحكم: مصطلح الحكمة له شأن عظيم في القرآن الكريم والحديث الشريف ، قال تعالى : : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾([22]) ، كما ورد لفظ الحكمة في أحاديث نبوية كثيرة ، منها عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال : ضمني رسول الله . صلى الله عليه وسلم . إلى صدره، وقال : « اللهُمَّ علمْه الحِكْمَةَ» ([23])، وفي حديث آخر : «إنَّ منَ الشِّعرِ حِكْمَةً» ([24]) ، وقد أورد شراح الحديث تفسيرات كثيرة لمفهوم الحكمة في الأحاديث الشريفة ، فقيل: الإصابة في القول ، وقيل: الفهم عن الله ، وقيل: ما يشهد العقل بصحته ،وقيل: نور يفرق به بين الإلهام والوسواس ، قال ابن حجر: " إن من الشعر حكمة، أي: قولاً صادقاً مطابقاً للحق ، قال ابن الصلاح: إن المراد بالحكمة : العلم المشتمل على المعرفة بالله " ([25]) .

والحكمة لها في الاصطلاح تعريفات مختلفة ، منها أنها كلام موافق للحق ، وهو" الكلام الذي يقل لفظه ،ويجل معناه ، وهي العبارة التجريدية التي تصيب المعنى الصحيح ،وتعبر عن تجربة من تجارب الحياة ، أو خبرة من خبراتها ،ويكون هدفها عادة (الموعظة والنصيحة)([26]) ، أو هي :"عصارة خبرة في الحياة ،وخلاصة فهم أسرارها ،يدبجها ذهن ذكي فطن في جملة مرصوصة رصاً محكماً ، تستخدم في المناسبات " ([27]).

([21]) أسرار البلاغة ١١١.
([22]) سورة البقرة ٢٦٩ .
([23]) صحيح البخاري ٢٧/٥ ، باب : ذكر عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - .
([24]) صحيح البخاري ٨/ ٣٤ ، باب : ما يجوز من الشعر والرجز والحداء .
([25]) فتح الباري ٤٦١/١ .
([26]) انظر : التعابير المسكوكة ودورها في الخطاب السياسي ٣١ .
([27]) موسوعة أمثال العرب ٢٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونستطيع أن نعرف مصطلح الحكمة في هذا البحث بأنها الجمل التي تصلح أن تكون دساتير قيمية ، ومبادئ أخلاقية إنسانية عامة ، لا ترتبط بمبادئ الشريعة الإسلامية وحدها ، ولكنها تسير مع منظومة القيم الإنسانية العامة، التي جاءت بها جميع الأديان السماوية ، ولا تتغير تبعاً للمعتقدات الدينية ، ولا الخلافات العرقية ، ولا تغير الزمان والمكان .

التعابير الاصطلاحية :هي جزء من ظاهرة لغوية عالمية لفتت انتباه الدارسين ، وعلى الرغم من أن اللغة العربية قديماً وحديثاً تحفل بالتعابير الاصطلاحية شأنها شأن جميع اللغات الطبيعية ، إلا أن هذا المصطلح لم يعرفه اللغويون العرب القدماء ، كما أن المعاجم العربية تكاد تخلو منها ، و معظم كتب تدريس اللغة العربية لم تتطرق لهذا النوع من التعابير، وهو على هذا مرتبط ارتباطاً وثيقا بثقافة أهل اللغة ، ويصعب فهم معناه عند سماعه للمرة الأولى لغير الناطقين بتلك اللغة خاصة ، وذلك أنه وحدة دلالية بنيوية مترابطة ، أي أنه لا يخضع لأي نوع من أنواع التغيير ، مثل: الاستبدال أو الحذف ، أو التقديم أو التأخير؛ لأن هذا يؤدي إلى تحطيم المعنى تماماً، الذي يتحول من المعنى الحرفي ، أو المعجمي إلى المعنى الاصطلاحي المستمد من اتفاق الجماعة اللغوية ، فهو تعبير له معنى خاص يختلف عن مجموع معاني كلماته ، بحيث يصعب إدراك المقصود به عند سماعه للمرة الأولى لغير أبناء اللغة الخاصة .

وتأتي الإشارة في كتب اللغويين العرب إلى مثل هذه التعابير، من خلال حديثهم على ما يطلق عليه مصطلحات عديدة ، كالتضام والتوارد والقرائن اللفظية ، والتي يقصد بها تطلب الكلمات لكلمات معينة ، واستدعائها إياها ، ليتكون منها تعبيرات تتكون من كلمتين ، مثل : ابن الحرب، طويل اللسان، رحب الفناء ، بعيد الغور، أو تتركب من أكثر من كلمتين مثل : شبّ عن الطوق ، طرق كل الأبواب ، كما أن هناك شكلاً من أشكال التعابير الاصطلاحية ، وهو ما يطلق عليه بعض اللغويين ،(المضاف والمنسوب) ، ومن أشهر هذه التعابير : جزاء سنمار ، حاطب ليل ، مواعيد عرقوب ، غراب نوح ([٢٨]) ، ونجد التداخل

([٢٨]) و أقدم من جمع هذا النوع من التراكيب أبو منصور الثعالبي في كتابه (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب)، وقد جمع فيه ١٢٤٤ تعبيراً مثلياً، مصنفة تصنيفاً موضوعياً في واحد وستين باباً ، ، ثم نجد محمد أمين المحبي المتوفي عام ١١١١هـ صنف كتاباً قيماً وهو : (ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بين مفهوم المثل ، والتعبير الاصطلاحي في كتب التراث اللغوي ، وينقل لنا ابن منظور مجموعة من أقوال اللغويين تؤكد على أن من القدماء من استخدم مصطلح المثل ، وهو يشير إلى التعبير الاصطلاحي ، ومنهم أبو عبيدة ؛ إذ يقول : "جاءوا على بكرة أبيهم، معناه : جاءوا بعضهم في إثر بعض، وليس هناك بكرة في الحقيقة، وهي التي يستقى عليها الماء العذب ، فاستعيرت في هذا الموضع، وإنما هو مثل"([٢٩])، وجاء في اللسان :" ومن أمثالهم: إنه واسع الحبل، وإنه لضيق الحبل، كقولك: هو ضيق الخلق ، وواسع الخلق"([٣٠])، ويقول ابن سيده : "جاع إلى لقائه : اشتهاه كعطش على المثل"([٣١]) . ونجد كذلك من المحدثين الذين استخدموا مصطلح (المثل) للإشارة إلى التعبير الاصطلاحي ، ومنهم الدكتور شوقي ضيف ، فقد استخدم مصطلح (المثل proverb) ، وهو المصطلح التراثي الذي استعمله القدماء ؛ للإشارة إلى التعبير الاصطلاحي ، فقد ذكر في حديثه عن بعض أحاديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : "وقد تداول العرب والمسلمون من كلماته الجامعة بعض أمثال لم يتقدمه فيها أحد، ومن ذلك قوله : مات حتف أنفه، كل الصيد في جوف الفرا، لا ينتطح فيها عنزان، جماعة على أقذاء، إن المنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى، إياكم وخضراء الدمن"([٣٢]).

فالأساس في تكوين التعبير الاصطلاحي مصاحبة كلمة لكلمة ؛ للدلالة على معنى معين ، وهذا من المتصاحبات المتلازمة التي لا تنفك ،و إذا ما حاولنا فكها ، فسد المعنى المقصود، فالتعبير الاصطلاحي (على العين والرأس) ، أي : بكل سرور، فلا نستطيع أن نقول (في العين والرأس)، وهذا يتفق مع معنى كلمة (مصطلح) ، والتي يراد بها المعنى الذي تعارفوا عليه ، واتفقوا عليه في استعمالهم اللغوي الخاص ،أو في أعرافهم الاجتماعية ، وعاداتهم السائرة،وتساعد الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية ، على أن تحمل كلمة ما ،معنى غير الذي وضعت له في أصل اللغة التي تنتمي إليها ، ويسير هذا المعنى الجديد بين الناس حتى يصبح في استعمالهم اليومي شيئاً مألوفاً ، ينسى معه ذلك

([٢٩]) لسان العرب ، مادة (بكر) ٨٠/٤ .
([٣٠]) لسان العرب ، مادة (حبل) ١٣٨/١١ .
([٣١]) لسان العرب ، مادة (جوع) ٦١/٨ .
([٣٢]) انظر : الفن ومذاهبه في النثر العربي ٧٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعنى اللغوي الأساسي أو يكاد ، وأهم ما يميز التعابير الاصطلاحية عن باقي التعابير المسكوكة ،هو أن هذه التراكيب التي تتكون من كلمتين كمركب إضافي ، أو حتى جملة مكتملة الأركان تركيبياً ، إلا أنها لا تقوم بوظيفة دلالية مكتملة ، ولكنها في الغالب تقوم بدور كلمة واحدة في الجملة ، وبالتالي ليس للتعابير الاصطلاحية دلالة مكتملة بذاتها، وهذا ما يجعل هذا النوع من الوحدات له صلاحية للتوزيع في التراكيب اللغوية ، مثلما تتوزع الوحدات المعجمية في اللغة العربية .

ويمكننا تعريف التعبير الاصطلاحي في هذا البحث بأنه وحدة لغوية تتألف من كلمتين ، أو أكثر تحولت عن معناها الحرفي إلى معنى جديد اصطلحت عليه الجماعة اللغوية ، يتحصل بأسلوب بياني ، وتعمل هذه الكلمات كوحدة دلالية .

والتعبيرات الاصطلاحية التي وردت في الحديث الشريف نجد أنها إما مقتبسة من القرآن الكريم ،أو أنها من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، أو كلام العرب ، وتدور في أغلب معانيها حول الدعاء ، والمدح والذم ، والتعجب والقسم ، التمني ، والتوكيد .

ثانياً : الخصائص اللغوية العامة للتراكيب المسكوكة :

التراكيب المسكوكة يقابلها التراكيب الحرة ، فهذه المسكوكات جاءت على هيئة تراكيب تشبه التراكيب الحرة . في الأسلوب . و لها أساليب متنوعة الأداء ، فمرة هي أسلوب خبري ، جملة اسمية أو فعلية ،ومرة هي أسلوب إنشائي ، فيه الاستفهام والتعجب أو الأمر والنهي، إلا أن هناك خواصاً لسانية عامة تميز التعابير المسكوكة عن باقي التعابير العادية الأخرى ، ***واولها الإيجاز*** : وهو أبرز سمات هذه التراكيب ، والإيجاز يعمل على إشباع المعنى ، وقد ذكر جميع من صنفوا في الأمثال أن أهم خصائصها أنها كالرموز ، وهي أوجز الكلام ، وأكثره اختصاراً ، وفيه كثير من الحذف والتوسع (٣٣) ، وتتمثل هذه الخاصية في كل الأنماط التي تحتوى على عنصري الجملة النواة ، خالية من العناصر التوسيعية

(٣٣) انظر : المستقصى في أمثال العرب ٢/١، ٣ ، وصبح الأعشى في صناعة الإنشاء ١/ ٣٤٧ ، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال ١٠٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

extensions ، إضافة إلى الأنماط التي تحتوى على أحد العنصرين ، والآخر محذوف، وكذلك الأنماط التي تحتوى على عنصر توسيعي مع تقدير الجملة النواة ، وسوف تظهر هذه السمة عند الدراسة التركيبية في هذا البحث .

والخاصية الثانية أنها لا تخضع لنفس الضوابط التي تنظم التعابير اللغوية الحرة ،فإذا كانت هذه التعابير الحرة تعمل في إطار العلاقات والوظائف التي تربط هذه الوحدات ببعضها ، فهي تقبل التغييرات الموقعية من تقديم وتأخير ، فإن التعابير المسكوكة عبارة عن جمل كاملة أو تراكيب ، فهي لا يتوصل إليها إلا بالاعتماد على دلالتها ، وليس على تراكيبها ، ذلك أن توزيع وحداتها اللغوية المكونة ثابتة في مواقع واحدة ،وبرتب محفوظة غير قابلة للقلب المكاني ، كما أن معنى الكلمة لا يتدخل في تأويل التعابير المسكوكة ،ذلك أن هذه التعابير تحفظ عن ظهر قلب .([٣٤])

والخاصية الثالثة أنها ثابتة الصياغة ،وهذا هو الغرض من تسميتها (مسكوكة) ، أي: لا يجوز التغيير في صياغتها التكوينية، بحذف أو إضافة ، فبذلك تتميز بخاصية تسمى بغياب التشخيص الذي تمتاز به هذه التعابير عن سواها ، أي لا يتم فيها اعتبار جنس المخاطب ،أو عدده ، من تذكير أو تأنيث ،أو إفراد أو تثنية أو جمع ، فتطلق في كل المناسبات بنفس صياغتها الأصلية ، وقد ذكر ذلك الزمخشري في حديثه عن الأمثال، فقال :" والأمثال يتكلم بها كما هي ، فليس لك أن تطرح شيئاً من علامات التأنيث في (أطّري فانك ناعلة) ولا في (رمتني بدائها وانسلّت)، وإن كان المضروب له مذكراً، ولا أن يبدل اسم المخاطب من عقيل وعمرو في : (أشئت عقيل إلى عقلك ؟) "([٣٥]) . ويعتبر المثل أكثر التعابير المسكوكة ثباتا ،فالعرب تجرى الأمثال على ما جاءت، ولا يطرد فيها القياس ، ويؤكد المرزوقي ما سبق بقوله: " من شرط المثل ألا يغير عما يقع في الأصل عليه، ألا ترى أن قولهم (أعط القوس باريها) تسكن ياؤه ، وإن كان التحريك هو الأصل؛ لوقوع المثل فى الأصل على ذلك وكذلك قولهم (الصيفَ ضيعتِ اللبن) لما وقع في الأصل للمؤنث لم يغير من بعد ،و

([٣٤]) انظر : التعابير المسكوكة ودورها في الخطاب السياسي ٣١.
([٣٥]) المستقصي في الأمثال ٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضرب للمذكر "([٣٦])،ويعلق التبريزى على المثل الأخير بقوله:" نقول(الصيف ضيعت اللبن)بكسورة التاء، إذا خوطب بها المذكر والمؤنث ،والاثنان والجمع ؛ لأن أصل المثل خوطبت به امراة ، وكذلك قولهم (أطرى فإنك ناعلة) يضرب للمذكر والمؤنث والاثنين والجمع على لفظ التأنيث"([٣٧])، ويعللون ذلك بأن قيمة المثل في غرابته ، فلا بد أن يذكر على سبيل الحكاية ، ويمكن القول بأن من حق المثل ، وغيره من المسكوكات أن تحمى صيغته وألفاظه من التغيير ، وأن يبقى على ما جاء عليه مهما اختلفت المضارب والأحوال ؛ لأن المساس به يخل بمدلوله ، ومن ناحية أخرى تفقد الأمثال كثيراً من قيمتها الأدبية واللغوية والتاريخية ، إذا تعرضت للتغيير، ومن ثم أجازت العرب لضارب المثل الخروج فيه على قواعد اللغة بدعوى الضرورة كالشعر، لأنه قد يصدر شعراً أو سجعاً، وقد يصدر عن أفواه أناس لا يبالون بالقواعد ؛ ذلك لأنه لا تغير صورته مهما كان مخالفاً لقواعد اللغة ؛ حفاظاً على سمة الثبات ([٣٨]) ، ونجد في حدود ضيقة أن التعابير التي يمكن أن تطرأ عليها تغييرات بناء هي بعض التراكيب الاصطلاحية ، مثل : زمن الفعل أحياناً ، واختلاف الشخص الموجه له الخطاب متكلماً أو مخاطباً أو غائباً ، وسنذكر أمثلة لذلك في موضعها من البحث .

والخاصية الرابعة أن هذه التراكيب لها ***خاصية التأثير العاطفي*** مقارنة بالتعابير الحرة ، يقول تمام حسان في حديثه عن التراكيب المسكوكة ([٣٩]) . وإن كنا نختلف في هذا البحث مع ما يقصده من هذه التراكيب . وتأثيرها " والقسط المشترك في معاني هذه الخوالف جميعًا ما ذكرناه من أن لها طبيعة الإفصاح الذاتي عمَّا تجيش به النفس، فكلها يدخل في الأسلوب الإنشائي، وتبدو شديدة الشبه بما يسميه الغربيون affective language، وجميعها يحسن بعده في الكتابة أن نضع علامة تأثر(!)، فالفرق بين (شتان زيد وعمرو) ،وبين (افترق زيد وعمرو)، هو فرق ما بين الإنشاء والخبر، فلا تصلح الثانية لشرح الأولى ؛ إذ لا تساويها في

([٣٦]) انظر : المزهر ٤٨٧/١ ، ٤٨٨ .
([٣٧]) المزهر ٤٨٧/١ ـ ٤٨٨ .
([٣٨]) انظر : المفصل فى تاريخ العرب ٣٥٩/٨ ، وانظر : الكشاف ٧٢/١ ، و جمهرة الأمثال ١/ ٧ .
([٣٩]) يقصد دكتور تمام حسن في هذا الموضع الأساليب المسكوكة ، وقد سبق الإشارة إليها في تعريف التراكيب المسكوكة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعنى، ومثل ذلك الفرق بين (أوه) وبين (أتوجع)، فلو أنك أحسست بألم مفاجئ ، فقلت: (أوه) ، لحق على الناس أن يسرعوا إلى نجدتك، ولكنك لو قلت في هذا الموقف نفسه:(أتوجع) ، لسألك السامع: ممَّ تتوجع ؟ ولم يخف إلى نجدتك ؛ لأنّ ما قلته (خبر) مجمل يحتاج إلى تفسير، ويحتمل بعده استفهاماً، وليس إنشاءً يتطلب استجابة عملية سريعة "(٤٠) .

والخاصية الخامسة شيوع الأساليب المجازية : فهذه التراكيب كثيراً ما يتحصل معناها من طريق الأسلوب البياني ، مثال ذلك عبارة (فلان كثير الرماد) ، وهي عبارة تقال في رجل كريم مضياف ، أي أنه كثيراً ما يحترق الحطب لديه ، ليصبح رماداً بسبب كثرة الطهي للضيوف ، وهذه الأمثلة وما يشبهها من الاستعارات، والكنايات ، والتشبيهات والمجازات اللغوية يمكن أن يسلك في عداد ما أطلق عليه التعبير الاصطلاحي بسبب تحوّل كل من عباراته من معناها الحرفي التي تفيده الكلمات المكونة لها إلى معنى مغاير شاع في الجماعة اللغوية بهذا المعنى ، وهذه الخاصية تكون أوضح في الأمثال ،والتعابير الاصطلاحية ، أما الحكمة فلا تظهر فيها هذه الخاصية ، وسنذكر ذلك لاحقاً .

وقد نتج عن جميع السمات اللغوية التي سبق ذكرها للتراكيب المسكوكة ، سمة خارج النطاق اللغوي ، وهي سهولة تداولها وحفظها ،وسرعة انتشارها ، والاتساع في استخدامها بين الخاصة والعامة ،وقد وصف ابن عبد ربه الأمثال بأنها " أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يسِر شئ سيرها، ولا عم عمومها "(٤١) .

(٤٠) اللغة العربية معناها ومبناها ١١٦ .
(٤١) العقد الفريد ٣/ ٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني : سياقات التعابير المسكوكة في الخطاب النبوي :

أولاً : السياق اللغوي :

هو البيئة اللغوية التي تحيط بجزيئات الكلام من مفردات وجمل وخطاب ، وأول عناصر السياق اللغوي، هو ***مستوى الكلمات*** : وعندما نتحدث عن استخدام الكلمة ، فنحن نتحدث عن أمرين ،إما عن تحليل المعنى الوظيفي الذي يتصل بوظائف المباني الصرفية ،وإما المعنى المعجمي الأصلي للمفردات، ويذكر الدكتور تمام حسان أن" الحقائق التي نصل إليها بواسطة التحليل على هذه المستويات حقائق جزئية بالنسبة إلى المعنى الدلالي ، ذلك بأن هذه الحقائق إما أن تكون وظائف . كما في الصوتيات والصرف والنحو. أو علاقات عرفية اعتباطية ، كما في المعجم ". (٤٢)

وبحث المعنى المعجمي للمفردات يتبع ***النظام المعجمي*** ، وهو مجموع الكلمات في إحدى اللغات باعتبار قيمتها المعنوية ، كوحدة معجمية محددة دون غيرها ، ويتبع هذا الاختلاف اختلاف دلالتها ، ويتمثّل هذا النظام المعجمي في مفردات المعجم ، وطبيعة نظام حقوله الدلالية ، ونظام المفردات المعجمي ، الذي قد كان ذا نزعة تبسيطية ،وفقاً لبساطة لإدراك لدى العقل البشري الأول ببساطة للمدلولات ، فارتبطت المفردات بدلالتها الأولية ،وهي المعاني الحسية لها ، ذلك أن الحياة البشرية لم تبلغ من الرقي والتوسع الفكري ما يدعو إلى ارتباط المدلولات بدلالات فكرية ،لا تخضع للوجود المادي ، والمعروف أن الواضع يضع الكلمة أولًا للمعنى الحقيقي العرفي ، وليس للمعنى المجازي الفني، ولكن كلمات اللغة دائمًا وفي كل مجتمع أقل بكثير جدًّا من تجارب هذا المجتمع، فلو أن المجتمع اكتفى باستخدام الكلمات في معانيها الحقيقية ،لأصبحت تجاربه التي تعبّر اللغة عنها محدودة، ولضاع معظم تجارب المجتمع في متاهات النسيان؛ وكذلك كان لا بُدَّ من حل لهذه المشكلة في ثلاثة اتجاهات ، *الأول*: محاولة إثراء اللغة بإيجاد كلمات للمعاني التي لم يعبر عنها، ولم توضع لها كلمات من قبل، *والثاني* هو محاولة الانحراف بالمعنى العرفي للكلمة إلى معانٍ أخرى ، كما نجد ذلك في معظم المصطلحات الفقهية الإسلامية في العبادات وغيرها ،كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والهدي ، والسعي ، ونحوها التي قد تحوّلت عن

(٤٢) اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معاني لغوية عامة إلى معاني اصطلاحية خاصة عن طريق القصد والتعمد ، فالقرآن الكريم قد هيأ ظروفاً دينية جديدة ، وخلق بيئة جديدة ، وهذه الظروف قد تقبلتها الجماعة اللغوية في هذه البيئة ، مما ساعد على جعل هذه الألفاظ مصطلحات عندهم اتفقوا عليها ، ومثل هذه الظروف الطارئة تخلق في أية جماعة لغوية مصطلحات جديدة يتفقون عليها فيما بينهم ([٤٣]) ، والاتجاه الثالث :هو " الانحراف بالمعنى العرفي للكلمة إلى معان فنية بيانية ، تسمَّى المعاني المجازية ، كالتشبيه ، والاستعارة ، والمجاز المرسل ، غير أن هذه المعاني الفنية المجازية ، يكثر ترديدها على الألسنة مع إطلاقها المجازي الفني ، فحين يطول عليها الأمد في هذا الاستعمال يميل الناس إلى اعتبار دلالتها على المعنى المجازي الجديد دلالة عليه على سبيل الحقيقة ، ومن ثَمَّ يصبح معنى الكلمة متعددًا ، وترصد لها هذه المعاني المتعددة في المعجم، فتكون الكلمة بين جلدتي المعجم محتملة لكل معانيها المعجمية المختلفة المنشأ ، حتى توضع في سياق ، يحدد لها واحدًا من هذه المعاني " ([٤٤]) .

فاللغة العربية تسمح بالتداول الطبيعي لمسارات مفرداتها بتعددية للدلالات في مفردة واحدة ، وقد أشرنا إلى هذا فيما سبق القول فيه من أن الدلالة تبدأ تجسيدية حسية يحكم عليها التطور بالانتقال إلى الدلالة التجريدية العقلية ، فيحدث من هذا إيجاد وجوه مختلفة للدلالة مع وحدة الدال أو اللفظ ، وهنا يظهر دور السياق اللفظي في تحديد المعنى المراد ، فهو القرينة الفنية التي يتم بها ترشيح جميع الاحتمالات المتواردة على اللفظة والتثبيت على دلالة معينة ؛إذ من الصعب جداً تحديد دلالة الكلمة منفردة ؛ فالكلمات والدلالات ترتبط على نحو وثيق بالسياق وعلاقاته، فهو الذي يعطي الإضاءة للغرض والقصد منها ، وكذلك اختلاف طريقة استعمال اللفظة الواحدة في سياقات مختلفة ، حتى تتولد لها في جو كل سياق دلالةً تغاير الدلالة التي تحققت لها في سياق آخر ، وهذا يتأتى من القرائن اللفظية الكاشفة التي ترافق اللفظة في السياقات ، ونعني بالسياق اللفظي ، هو السياق الذي يعين في تحديد المعنى إلى عناصر لغوية ، فالمعنى المعجمي للكلمة، متعدد ومحتمل ف

([٤٣]) انظر :المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة ٩٤ .
([٤٤]) اللغة العربية معناها ومبناها ٣٢٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السياق، أما المعنى الحقيقي ، فهو واحد فقط في السياق (٤٥) ، ولغة الخطاب النبوي قد بلغت الدرجة العليا من الرقي في انتقاء الألفاظ ، ومن حيث الدلالات التي ارتبطت بها ، فالمعنى المعجمي ربما يكون واحداً فقط ، أما حين تدخل في السياق فإن معناه لا يسمَّى معجميًا نظرًا إلى أن السياق يحفل بالكثير من القرائن الحالية والمقالية التي قد تعطي الكلمة العديد من المعاني .

فإذا نظرنا للمفردات في التراكيب المسكوكة في الحديث النبوي، فهي أحياناً تكون مفردات دلالتها في التركيب لا تختلف عن مجموع دلالة مفرداتها في المعجم ، فيكون كل معنى لكل مفردة مقصود على الحقيقة ،كما في الحديث: « التَمِسُوا الجارَ قَبْلَ الدَّارِ والرَّفِيقَ قَبْلَ الطَّرِيقِ »(٤٦) ، وفي الحديث أيضاً: «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»(٤٧) فنجد المفردات : الجار ، الدار ، الرفيق ، الطريق . كلها مفردات تؤدي في النص نفس المعنى المعجمي الأصلي للمفردات ، ونجد ذلك أكثر ما يكون في ***الحكم*** ، ونجد كثيراً في ***الأمثال*** ما تشير المفردات على معنى آخر غير المعنى المعجمي « النَّاسُ مَعَادِنٌ » (٤٨) فقد ذكر شراح الحديث أن " المعادن: الأصول ، وإذا كانت الأصول شريفة، كانت الفروع كذلك غالباً، والفضيلة في الإسلام بالتقوى ، لكن إذا انضم إليها شرف النسب ازدادت فضلاً "(٤٩) ، فمعنى المفردات في الأمثال كثيراً ما تكون مجازية ، ولكنها شاعت مع كثرة الاستخدام ، حتى أصبحت مفهومة المعنى ، أما المفردات في ***التعبير الاصطلاحي*** ليست مقصودة بالمعنى المعجمي للكلمة ،ولا المعاني التجريدية ، ولا المجازية ، ولكنها تعتمد في تأديتها الدلالية ، وتؤدي وظيفتها عن طريق ما يسمى بالمصاحبة ، **والمصاحبة** تتمثل في ما يصاحب الكلمة من كلمات تؤثر في معناها ، وتحدده، وكل كلمة في التعابير الاصطلاحية لها دلالة في نفسها ، أما عندما تجمعها جملة أو تركيب ، فتختلف في دلالتها مجموعة عن معاني المفردات

(٤٥) انظر : اللغة العربية معناها ومبناها ٢٨ .
(٤٦) المعجم الكبير للطبراني ٤/ ٢٦٨ ، باب : سعيد بن أبي رافع بن خديج .
(٤٧) المعجم الأوسط ٣/ ٣٥٧ ، باب : من اسمه جبير .
(٤٨) صحيح البخاري ٤/ ١٤٩، باب : (لقد كان في يوسف) .
(٤٩) شرح النووي على مسلم ١٦/ ٧٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منفردة ، وهذا ما سماه فيرث بالمصاحبة collocation، وهي الترابط المعتاد لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة ، دون غيرها في جمل تلك اللغة (٥٠) ، وتبدو أهمية المصاحبة في كونها المحدد الأساسي لمعاني المفردات اللغوية؛ وبذلك أصبح مصطلح تصاحبي collocational مرادفاً – كما يذكر لايلز– لمصطلح معجمي ، ونجد المصاحبة واضحة جداً في التعابير الاصطلاحية ،وهذه المصاحبة هي التي حددت الجانب المسكوك في الجملة ، وهذه الوحدات المعجمية (التراكيب المسكوكة)، وبعد أن أصبحت من فئة الاستعمال العرفي قد أخذت القيمة المعجمية لهذه الوحدة ، وهي بمعزل عن غيرها ، أي دون مراعاة التركيب وخارج الاستعمال ، فالدعاء " تَرِبَتْ يَدَاكَ " (٥١) ، قد ذكر شراح الحديث أن " حقيقة هذه اللفظة عند أهل اللغة يراد بها الإخبار عن حلول الفقر، قال ابن السكيت: " يقال: تربت يداه، إذا افتقر.، أي افتقرت ، ولكن العرب أصبحت تستعمله للتعجب ، والحث على الشيء ، وهذا هو المراد هنا "(٥٢) ، فنجد التركيب كاملاً يكون معادلاً دلالياً لفعل بسيط من أفعال المعجم ، فالتركيب (تربت يداك) = فزت .

أما الأبنية فتدرس البنية في أية لغة بشكل مستقل عن قيمة الكلمات المعنوية ،وقيمتها الصوتية على السواء ، وعلم الأبنية يختص به علم الصرف في اللغة العربية ، ويقصد به صيغ الكلمات التي تنشأ عن التصريف ، ويتمثل في اختيار صيغة صرفية عن الصيغ الصرفية الأخرى ، وتنقسم الصيغ الصرفية إلى أبنية أسماء ،وأبنية أفعال ، فاختيار صيغة الفعل تختلف عن الاسم ، ونجد اختيار أيضاً صيغة محددة لفعل ما ، له غرض ودلالة ، ففي الحكم نجد اختيار صيغ الأمر المباشر، ففي الحديث :« التَمِسُوا الجارَ قَبْلَ الدَّارِ والرَّفِيقَ قَبْلَ الطَّرِيقِ » (٥٣) ، وفي الحديث أيضاً:«أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بغيضك يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بغيضك هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»(٥٤)، وأيضاً

(٥٠) انظر : المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم ٦٦ .
(٥١) صحيح البخاري ٧/ ٨ ، باب : الأكفاء في الدين .
(٥٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال ٧/ ١٨٧ .
(٥٣) المعجم الكبير للطبراني ٤/ ٢٦٨ ، باب : سعيد بن أبي رافع بن خديج .
(٥٤) المعجم الأوسط ٣٥٧/٣ ، باب : من اسمه جبير .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحديث:«أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ »(٥٥)، أما في التعابير الاصطلاحية نجد شيوع الفعل الماضي ، كما في الحديث «رَغِمَ أَنْفُ... » (٥٦) ، والحديث « تَرِبَتْ يَدَاكَ » (٥٧) .

سبق أن ذكرنا أن التراكيب المسكوكة ، تختلف عن الأساليب المسكوكة التي لها قوالب تصريفية ، وبنائية جاهزة ، وتكون فيها إمكانية تغيير الأفعال أو الأسماء ، أما التراكيب المسكوكة فهي مغلقة من جهة الأبنية ، ومن جهة المفردات ، إلا أن ما يمكن أن يتغير فيها . وفي حدود ضيقة جداً . بعض مباني التصريف " فتسند الأفعال إسنادات مختلفة بحسب التكلم ، والخطاب ، والغيبة، وبحسب الإفراد ، والتثنية ، والجمع، وبحسب التذكير التأنيث، وتتصرف الأسماء تصريفات مختلفة ، باختلاف الإفراد ، والتثنية ، والجمع، والتذكير والتأنيث، والتعريف ،والتنكير، فتكون معاني التصريف على هذا مجالًا للقيم الخلافية التي تفترق الصيغ على أساسها" (٥٨) ،فنجد في حدود ضيقة بعض التراكيب التي يمكن أن تطرأ عليها تغييرات بناء ،وهذه التغييرات لا تجوز فقط إلا في *التعبير الاصطلاحي* ، فمن أمثلة ذلك:اختلاف الشخص الموجه له الخطاب متكلماً ،أو مخاطباً ، أو غائباً ، وذلك نجده في أساليب القسم والدعاء ،مثل: « تَرِبَتْ يَدَاكَ » (٥٩)، و«مَا لَهُ تَرِبَتْ يَدَاهُ»(٦٠) ، وكما جاء في الحديث :«والذي نَفْسِي بيدِهِ»(٦١) ، «والَّذي نفسُ محمدٍ بيدِه» (٦٢) كما جاء في الحديث على لسان الصحابة :« والذي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ » ، وأيضاً «والذي نَفْسُ أَبِي هُرَيرةَ بَيدِهِ »(٦٣) ، كما نجد أيضاً «على رَغْمِ أنفِ...» (٦٤) «رَغِمَ أَنْفُ...» (٦٥) فنجد نفس التعبير الاصطلاحي قد تنوع بين جملة فعلية مكتملة ، ومركب حرفي ، وهذا نادر .

---

(٥٥) سنن أبي داود ٤/ ١٣٣ ، باب : في الحد يشفع فيه .
(٥٦) صحيح ابن حبان ٣/ ١٨٩ ، باب : ذِكْرُ رَجَاءِ دُخُولِ الجِنَانِ المُصَلِّي عَلَى المُصْطَفَى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.
(٥٧) صحيح البخاري ٧/ ٨ ، باب : الأكفاء في الدين .
(٥٨) اللغة العربية معناها ومبناها ٨٤ .
(٥٩) صحيح البخاري ٧/ ٨ ، باب : الأكفاء في الدين .
(٦٠) سنن أبي داود ١/ ٤٨ ، باب : في ترك الوضوء مما مست النار .
(٦١) صحيح البخاري ٢/ ١٢٣ ، باب : الاستعفاف عن المسألة .
(٦٢) صحيح البخاري ٣/ ٢٦ ، باب : هل يقول إني صائم إذا شتم .
(٦٣) صحيح مسلم ٣/ ١٢٨٤ ، باب: ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده .
(٦٤) صحيح مسلم ١/ ٩٥ ، باب : من مات لا يشرك بالله شيئاً .
(٦٥) صحيح ابن حبان ٣/ ١٨٩ ، باب : ذِكْرُ رَجَاءِ دُخُولِ الجِنَانِ المُصَلِّي عَلَى المُصْطَفَى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كانت اللغة تمثل ظاهرة اجتماعية تداولية على ألسن الأفراد، فلابد لها من أن تتأثر بالناحية العاطفية أو النفسية لهم ، ذلك لوثاقة الارتباط بين النفس البشرية ، واللغة اللسانية التي تعبر عنها ،ومن هنا كان لكيفية اختيار بعض الألفاظ دون غيرها بما يقضيه السياق النفسي ، لها أثر في توجيه الدلالة إلى مسارها التأثيري في المتلقي ، وتكون بذلك دلالة الألفاظ المنتقاة في السياق من مقتضيات النفس.

. **التركيب النحوي:** إن السياق النحوي هو الذي يدرس البنية النحوية التي ترد فيها الكلمة بوصفها وحدة نحوية في كل تركيب ، و أن الكلمات في الجمل تتوالى على نسق مرتب ، وتخضع في ترتيبها إلى أنساق تركيبية مطردة، وعلاقات داخلية معينة، تشكل في مجموعها قواعد التركيب النحوي على وفق مقتضى السياق ، فالقواعد التي يبنى عليها النص اللغوي يجب أن يتحقق فيها الانسجام مع دلالة السياق ،فالسياق النحوي يعمل على أداء معنى الجملة ، ومعنى الجملة ليس مجموع معاني الكلمات المفردة التي ترد فيها . كما سبق وأشرنا . فالتغيير في البنية النحوية ، وعلاقات الكلمات، ووظائفها ، ومواقعها في الترتيب من شأنه أن يبدل في المعنى ، و أي تغيير في موقع كل كلمة من كلماتها يؤدي إلى معنى مغاير بحسب سياقها من التركيب ، ومن هنا نؤكد على ترتيب الكلمات داخل السياق لغرض فهم المعنى ، وأغراض الكلام ؛ولذلك يؤكد الباحثون أن التركيب تختبئ في خصائصه وأحواله إشارات ودلالات مختلفة ، وأن السياق هو الذي يستخرج من هذه الخصائص مقتضياته .

وفي مستوى التركيب النحوي للتراكيب المسكوكة ، ينبغي أن نميز بين الأمثال والحكم من جهة ، والتعابير الاصطلاحية من جهة أخرى ؛ لأننا سوف نتناول في دراسة التركيب النحوي ما جاء على شكل جمل متكاملة الأركان تركيبياً ، ومكتملة الدلالة ، وهو الشكل الذي يأتي عليه الأمثال والحكم ،فهذان النمطان لهما وجود مستقل يمثل جملة كاملة الأركان، لو انتزعت من الخطاب تؤدي وظيفة دلالية مستقلة ، وفي المقابل نجد أن التعابير الاصطلاحية تأتي في الأغلب الأعم على شكل تراكيب اسمية أو فعلية أو حرفية ، وتأتي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في القليل على شكل جملة مكتملة الأركان تركيبياً ، ولكنها تقوم بدور كلمة واحدة دلالياً في الغالب .

ونبدأ بالتحدث عن الدلالات النحوية عامة للتراكيب المسكوكة ، وهي المعاني العامة المستفادة من الجمل والأساليب، والتي يمكن تقسيم الأساليب فيها ، من حيث الأغراض العامة إلى إنشائية أو خبرية ، فمثلاً نجد *الحكم* والتي سبق أن ذكرنا أنها دائماً ما يكون الهدف منها الحث على الفضائل ،والقيم الإنسانية ،والاجتماعية فمن الطبيعي أن يأتي الكثير منها طلبياً، و إذا استقصينا أنماط االتراكيب المسكوكة التي جاءت على الأساليب الإنشائية ، التي منها الطلب ، فنجد شيوع أسلوب الأمر والنهي ،بأسلوبه المباشر والإسناد الحقيقي : « التَمِسُوا الجارَ قَبْلَ الدَّارِ والرَّفِيقَ قَبْلَ الطَّرِيقِ » (٦٦) «أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ » (٦٧) ،«لِيَسَعْكَ بَيْتُكَ »(٦٨)

وقد تبدأ العبارة بالطلب المباشر ،ثم يعقبه عبارة للإقناع بهذا الطلب وتعليله ، مثل الحديث :«أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»(٦٩)، وقد تبدأ بالعبارة الإقناعية أولاً ليمهد المخاطب ، ثم يعقبها الطلب :«الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (٧٠) ، فقد بدأت بعبارة خبرية ليمهد المتلقي ،ويقنعه بالأمر الذي يحثه عليه في العبارة التالية ،، ونجد أن أساليب الأمر تشيع في الحكم . كما ذكرنا . لأنها بمثابة دعوة إلى مبدأ ، أو ترك فعل ، أو فضيلة .وعلى الرغم من أن الهدف منها هي الأغراض السابقة ، إلا أنها لا نجد في السياق الترغيب في ثواب الفعل في الآخرة ، أو الترهيب من تركه ، وذلك يؤكد ما ذهبنا إليه من أنها أخذت شكل الدعوة العامة غالباً، ولا تتغير كما هو الحال في التشريعات في الديانات السماوية ، فهي ليست أحكام فقهية ترتبط بالتشريع الإسلامي وحده ، ولكنها قيم ثابتة إنسانية ، لا تتبدل جاءت بها كل الأديان السماوية كما جاءت بعقيدة واحدة . كذلك نجد من التعابير

(٦٦) المعجم الكبير للطبراني ٤/ ٢٦٨ ، باب: سعيد بن أبي رافع بن خديج .
(٦٧) سنن أبي داود ٤/ ١٣٣ ، باب : في الحد يشفع فيه .
(٦٨) المعجم الأوسط ٦/ ٦٢ ، باب: من اسمه محمد .
(٦٩) المعجم الأوسط ٣/ ٣٥٧ ، باب : من اسمه جبير .
(٧٠) سنن أبي داود ٤/ ٢٥٩ ، باب : ما يؤمر أن يجالس .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاصطلاحية التي وردت على الأنماط الخبرية ، ولكن أغراضها طلبية إنشائية ، والتي تدور في معاني الدعاء مثل: « تَرِبَتْ يَدَاكَ » ، و «قَاتَلَهُمُ اللهُ» (٧١) ، والمدح «لَا أَبَا لَكَ »، والتمني: «لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ الْيَمَنِ»(٧٢) ، والذم : «رَغِمَ أَنْفُ... » (٧٣)...الخ

إلا أن المعاني العامة مثل: المدح ، أوالذم لبعض الجمل والتراكيب ، تظل غامضة ، ولا تتحدد إلا بالسياق اللفظي ؛ لتحديد الدلالة الحقيقية ،والمقصود من هذا التركيب ، وذلك مثل: (لا أبا لك) فهذا التركيب يقول عنه اللغويون أنّ قولهم: لا أبا له، كلامٌ يستعمل كناية عن المدح والذمّ ، ووجه الأوّل أن يراد نفي النّظير الممدوح بنفي أبيه، ووجه الثاني أن يراد أنّه مجهول النسب (٧٤) ، فالمعنيان محتملان هنا ؛ لكن السياق التركيبي هو الذي يقوم بمهمة الترجيح لأحد المعاني الذي يحتمله المفردات أو التراكيب " وفي مثل هذه الحالات نجد الاتجاهات المختلفة لنظريات تحليل السياق ، وقد تناولها اللغويون بأنماط مختلفة وتقسيمات متنوعة يمكن الاستفادة ، فقد فرّق جفري إلزJeffrey Ellis بين معاني السياقات الآنية instantial context أو الفعلية actual ومعاني السياقات الكامنة أو المحتملة potential. فمعاني السياقات الآنية هي المفهومة من مثال معين في مكان معين، في نص معين، في مقام معين ، أما المعنى السياقي المحتمل ، فهو كل المعاني السياقية الممكنة للوحدة اللغوية عند تجريدها من النصوص التي تقع فيها وهذا ما نفهمه من دلالة التركيب كما ورد في السياق (٧٥) ، فمعنى المدح الذي يتبادر إلى الذهن عند سماع جملة يتغير عند معرفة السياق الذي ورد فيه عَنْ عَائِشَةَ . رضي الله عنها . قَالَتْ: سَأَلَهَا رَجُلٌ عَنْ مِيرَاثِ رَسُولِ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَتْ: «أَعَنْ مِيرَاثِ رَسُولِ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. تَسْأَلُنِي لَا أَبَا لَكَ؟ وَاللَّهِ مَا وَرِثَ رَسُولُ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا

(٧١) صحيح البخاري ٤/ ١٣٩ ، باب: قول الله تعالى :" واتخذ الله إبراهيم خليلا "
(٧٢) مسند أحمد ٣٥/ ٢١٦ ، مسند : الأنصار، حديث : أبي ذر الغفاري .
(٧٣) صحيح ابن حبان ٣/ ١٨٩ ، باب : ذِكْرُ رَجَاءِ دُخُولِ الْجِنَانِ الْمُصَلِّي عَلَى الْمُصْطَفَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
(٧٤) انظر : ضياء السالك إلى أوضح المسالك ١/ ٦١ .
(٧٥) لم يرد هذا الأسلوب في كتب السنة في كلام الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكنه ورد على لسان الصحابة رضوان الله عليهم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عَبْدًا، وَلَا أَمَةً، وَلَا شَاةً، وَلَا بَعِيرًا»(٧٦) ، فالمعنى السياقي هنا المحتمل ،وهو ليس معنى المدح بكل تأكيد ، ولا نستطيع أن نطلق عليه ذماً ، ولكن يمكننا تسميته (لوماً) قد عضده السياق اللغوي .

كما نجد أيضاً بعض التراكيب المسكوكة التي جاءت في قالب خبري ، فهي تكتنف أيضاً معنى الأمر والنهي ، ونجد ذلك في *الحكم* ، مثل : « وإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا» (٧٧) ، فعلى الرغم من أن الجملة خبرية في شكلها ، إلا أنها تحمل دعوة لأن يحسن المرء عمله ، حتى تحسن خاتمته ، لأهمية الخاتمة لكل إنسان في تحديد مصيره ، وسنجد ما يشبه ذلك في سياقات أخرى ، ومن ذلك الحديث : «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ منَ اليَدِ السُّفْلَى » (٧٨) فهذا الحديث ليس الهدف منه مجرد الإخبار ، ولكن الحث على العطاء بكل أنواعه من زكاة مفروضة ، ذكرت في أحاديث أخرى، أو صدقة تطوعية ،وهذا إقناع بأسلوب خبري آخر غير فعل الأمر المباشر ، والإقناع لم يقترن في السياق بالثواب والعقاب ، ولكنه رسم صورة ذهنية لموقف الأخذ والعطاء ،وهو الموقف العلوي والسفلي ، وهذا يتناسب مع رقي الفكر، ويساعد في إقناع المخاطب في تكوين رأيه ، كما نجد في حديث : «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» (٧٩) ، فللوهلة الأولى نجد أن هذا مجرد خبر ، ولكنه في الحقيقة ، هو أمر بأسلوب أرقى من استخدام الأمر المباشر، و نجد في سياقات أخرى ،نفس هذا المعنى ، وقد ورد بالأمر المباشر بالتحري في اتخاذ الأخلاء و الخلطاء ،ففي الحديث :« الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ » (٨٠) كما جاءت تراكيب أخرى خبرية فيها صوراً أخرى لأهمية الصاحب ، وتأثيره ، مثل :« المُؤمن مرآةُ أخِيه » (٨١)، وقَوْلُهُ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : «الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ» (٨٢) .

---

(٧٦) صحيح ابن حبان ١٤/ ٢٨٣، باب : ذكر البيان بأن المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج من هذه الدنيا الفانية الزائلة إلى ما وعده ربه من الثواب ، وهو صفر اليدين.
(٧٧) صحيح البخاري ٨/ ١٠٣ ، باب :الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها .
(٧٨) صحيح البخاري ٢/ ١١٢، باب : لا صدقة إلا عن ظهر غنى .
(٧٩) صحيح البخاري ٨/ ٣٩ ، باب : علامة حب الله عز وجل .
(٨٠) مسند أحمد ط الرسالة ١٣/ ٣٩٨ ، مسند أبي هريرة .
(٨١) الأدب المفرد ١٢٦، باب : ما لا يحوز من اللعب والمزاح .
(٨٢) أمثال الحديث ٨٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما الأساليب الخبرية التي جاء الخبر فيها على حقيقته ، وذلك مثل الجملة الاسمية التي تفيد العموم ، والتي تدل على الثبات قد وردت في *الأمثال* ، وليست في الحكم ، ذلك أن المثل يصف وضعاً ربما يتسم بالثبات ، وهذه الخصائص لا تنطبق . في الأغلب . إلا على الجمل الاسمية ، ويعتمد في تركيبه على تشبيه أمر بآخر: «الحَرْبُ خُدعَةٌ» (٨٣) ،«ابنُ أُخْتِ القَوْمِ مِنْهُمْ» (٨٤) ،«الخَالَةُ بمنزلةِ الأُمِّ» (٨٥) ،«السَّفَرُ قِطْعَةٌ منَ العَذَابِ»(٨٦) .

وعلى الرغم من شيوع التشبيه ، والمجازات في الأمثال ،إلا أن الحكم لا تخلو من ذلك تماماً ، فهي تعتمد أحياناً على التشبيه ، مثل :«الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» (٨٧) ، فالصدقة ترتبط في الأذهان في الأساس بالعطاء المادي للفقير كما ورد في الحديث :" فأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ منْ أَغْنِيائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ» (٨٨)، ولكن هذا المفهوم تطور مع نضج الوعي ، وارتبط مفهوم الصدقة بأي نوع من أنواع العطاء ، وجاءت أحاديث أخرى كثيرة تربط هذا المفهوم المادي بأشكال أخرى من العطاء المعنوي ،عن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، فقالوا: يا نَبِيَّ الله، فمنْ لمْ يَجِدْ؟ قالَ: «يَعْمَلُ بيدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ ويَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فإنْ لم يَجِدْ؟ قالَ: «يعينُ ذا الحَاجَةِ المَلْهُوفِ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يجدْ؟ قالَ: «فليَعْمَلْ بالمَعْرُوفِ، ولْيُمْسِكْ عنِ الشَّرِّ، فإنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ» (٨٩)، ثم جاءت الأحاديث فيما بعد «يُمِيطُ الأذَى عنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» (٩٠) وقوله . صلى الله عليه وسلم . : «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ» (٩١).

(٨٣) صحيح البخاري ٤/ ٦٤ ، باب : الحرب خدعة .
(٨٤) صحيح البخاري ٤/ ١٨٥ ، باب: ابن أخت القوم ومولى القوم منهم .
(٨٥) صحيح البخاري ٥/ ١٤١ ، باب : عمرة القضاء
(٨٦) صحيح البخاري ٣/ ٨ ، باب السفر قطعة من العذاب .
(٨٨) صحيح البخاري ٨/ ١١ ، باب : طيب الكلام .
(٨٩) صحيح البخاري ٢/ ١٠٤ ، باب : وجوب الزكاة .
(٩٠) صحيح البخاري ٢/ ١١٥ ، باب : على كل مسلم صدقة .
(٩١) سنن الترمذي ٤/ ٣٤٠ ، باب: ما جاء في صنائع المعروف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونجد من الأساليب الخبرية التي جاءت على شكل جملة اسمية مكتملة نحوياً ، إلا أنها ليست مستقلة دلالياً ؛ لتعطي دلالة خاصة بها وحدها ، إذا انفصلت عن السياق الذي وردت فيه ، وذلك في التعابير الاصطلاحية ، فالتعبير الاصطلاحي وإن كان يتركب شكلياً من جملة اسمية كاملة ، إلا أن وظيفته الدلالية يمكن أن يقوم مكانها فعل ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا » (٩٢) . والزعيم معناه :" الضامن ،والكفيل، والزعامة : الكفالة " (٩٣) ، فهذه الجملة تقوم دلالياً مقام فعل ،فجملة : أنا زعيم = أتعهد ، كذلك نجد من الجمل الفعلية التي تكون ذات تركيب مكتمل بنفسها ، ولها وظيفة دلالية جزئية في السياق ، وتأخذ القالب الخبري . حتى وإن كان غرضها إنشائياً . ويكون ذلك واضحاً في سياق التركيب والمفردات : مثل جملة : رَغِمَ أَنفُ = خسر . وهذه الوظيفة لا يقوم بها من أنواع التراكيب المسكوكة إلا التعابير الاصطلاحية ، وقد سبق وذكرنا أن هذه التصاحبات اللغوية تقوم مقام كلمة واحدة في دلالتها ، ولا تكون دلالة تلك الجمل هي مجموع معاني مفرداتها .

ومن أهم الظواهر التركيبية التي تلفت النظر في التراكيب المسكوكة، هي الحذف ، فالحكم والأمثال نجد الجمل مكتملة ، ولا نكاد نجد فيها حذفاً ، أما في التعابير الاصطلاحية ، فنجد شيوع الحذف والتقدير، مثل:«لا بأس ...» (٩٤).لَيْتَ شِعْرِي (٩٥) = لا أعلم ، يقول عباس حسن " وتختص ليت بأسلوب يلتزم فيه العرب حذف خبرها، وهو قولهم: لَيْتَ شِعْرِي "(٩٦) ، ومع حذفهم الخبر فيه باطراد يلتزمون أن يذكروا اسمها، وأن يكون هذا الاسم كلمة (شِعر) مضافة إلى ياء المتكلم، وبعدها الخبر المحذوف وجوباً ؛ فيجوز حذف الخبر وحده لدليل عملاً بالقاعدة النحوية التي تبيح عند اللبس حذف ما لا يتأثر المعنى بحذفه ، جاء في اللسان " ولَيْتَ شِعْرِي ،أي : ليت علمي، أو ليتني علمت، وليتَ شِعري من ذلك ، أي : ليتني شَعَرْتُ "(٩٧) ، أما الحكمة فلا تأتي إلا في شكل جملة تامة ، مكتملة الأركان، فهي إما جملة اسمية أو فعلية، وتأتي الجمل على بنيتها التركيبية الأساسية في الترتيب ، فيقل فيها .في الغالب . الحذف .

(٩٢) سنن أبي داود ٤/ ٢٥٣، باب: في حسن الخلق .
(٩٣) معالم السنن ٤/ ١١٠ ، باب: حسن الخلق .
(٩٤) صحيح البخاري ٢/ ١٤٢ ، باب: التمتع والإقران والإفراد بالحج .
(٩٥) مسند أحمد ط الرسالة ٣٥/ ٢١٦ ، باب : حديث أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - .
(٩٦) النحو الوافي ١/ ٦٣٥.
(٩٧) لسان العرب ، مادة (شعر) ٤/٤٠٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما نجد من الظواهر التركيبية التي تشيع في التراكيب المسكوكة ، التوكيد سواء عن طريق الأدوات ، مثل : (إنّ) ، أو (إنَّمَا) ، أو عن طريق التكرير ، وكلاهما عاملان قويان في تكوين الآراء ، وانتشارها من منظور الوظيفة الاتصالية ، و بها يستعين رجال السياسة والزعماء في خطبهم كل يوم ، ولا يحتاج التوكيد إلى دليل عقلي يدعمه ، (٩٨) إنما يقتضي أن يكون وجيزاً حماسياً ذا وقع في النفس ، فمن أمثلة التوكيد بالأداة ما ورد في الحديث:« إنَّ منَ البَيَانِ لسِحْرًا»(٩٩) ،و «إنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً» (١٠٠) ،و«إنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» (١٠١) و« إنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ» (١٠٢) ، ومن أمثلة التكرار : :« بِقَضِّها وَقَضِيضِهَا (١٠٣)»(١٠٤) ، وكما لا حظنا في الأمثلة السابقة أن التوكيد جاء في جميع أنواع المسكوكات من الحكمة ، والمثل ، والتعبير الاصطلاحي .

أما الأنماط التركيبية للتراكيب المسكوكة، ***فالأمثال والحكم تأتي جملاً مكتملة الأركان***، سواء إنشائية أو خبرية ،فتأتي على شكل مركبات إسنادية ، اسمية أو فعلية ، يمكن أن تأتي بسيطة أو موسعة :

فتأتي في المركبات الفعلية على هيئة :

أ . مسند + مسند إليه

ب . عنصر توسيعي + مسند + مسند إليه

ج . مسند + مسند إليه + ذيل .

د . عنصر توسيعي + مسند + مسند إليه + ذيل .

وتأتي في المركبات الاسمية على هيئة :

---

(٩٨) الخطابة أصولها وتاريخها في أزهى عصورها ٦-٦ .
(٩٩) صحيح البخاري ١٢٣/٢ ، باب : الاستعفاف عن المسألة .
(١٠٠) صحيح البخاري ٢/ ١٢٣ ، باب : الاستعفاف عن المسألة .
(١٠١) صحيح البخاري ١/ ٦ ، باب : ما كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(١٠٢) صحيح البخاري ١/ ١٣٤، باب : حد المريض أن يشهد الجماعة .
(١٠٣) القض: الحصى الصغار، والقضيض: الحصى الكبار، أي أنهم جاءوا بالصغير وبالكبير جميعًا .
(١٠٤) صحيح ابن حبان ٢/ ٥٠٥ ، باب : ذكر الخبر الدال على إيجاب الجنة لمن توكل .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أ. مسند إليه + مسند .

ب . مسند إليه + مسند + ذيل .

ج . عنصر توسيعي + مسند إليه + مسند

د . عنصر توسيعي + مسند إليه + مسند + ذيل .

أما ***أشكال التعبيرات الاصطلاحية*** من حيث الصياغة يمكن توزيعها على أنماط تركيبية مختلفة ، ومتنوعة تنوعاً يختلف كثيراً عن الأنماط المحددة للمثل والحكمة ، وهذا يرجع . كما سبق وذكرنا. إلى أنها تقوم في التركيب بوظيفة المفردة الواحدة في الأغلب ، فهي تأتي على الأكثر على أنماط التركيب الإسنادي ، والتركيب الإضافي .

أما التركيب الإسنادي ، فنلاحظ في التعبيرات الاصطلاحية . وذلك يرجع إلى قصر طول الجملة . أنها تعتمد على ركني الإسناد ، سواء كان الإسناد اسمياً او فعلياً ، وعنصر لغوي آخر فقط ، يمكن أن يكون الذيل ، أو العنصر التوسيعي ، أي أنها لا تجمع بين العنصر التوسيعي والذيل، وذلك بصرف النظر عن كون التركيب الإسنادي فعلياً ، أواسمياً ، فعلى سبيل المثال :

أ . مسند + مسند إليه

ب . عنصر توسيعي + مسند إليه + مسند

ج . مسند + مسند إليه + ذيل .

مثل : تربت يداك ، لا أبا لك ، ، ثكلتك أمك

والتركيب الإضافي ، وهو المكون من كلمتين تحمل كل منهما دلالة خاصة مألوفة للمتكلم ، ولكنهما تتحولان عن معنييهما إلى معنى جديد نتيجة لعلاقة الإضافة أو التركيب ، ويمكن تمثيل الأنماط التركيبية للمركب الإضافي ، كما يلي :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أ . مضاف (نكرة) + مضاف إليه (نكرة) .

ب . مضاف (نكرة) + مضاف إليه (معرفة) .

مثل : «حَاطِب لَيْلٍ » (١٠٥) وقوله صلى الله عليه وسلم: « جَنَاحُ بَعُوضَةٍ » ، و« بَرْ
الْعَيْشِ » (١٠٦) = النعيم ، « حَذْوَ الْقُذَّةِ » (١٠٧)، و« عَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الدِّينَارِ »(١٠٨) أو
مضافة إلى ذو ، أو أم ، أو ابن ، مثل :« ذُو الوَجْهَيْنِ» (١٠٩)، و« أُمَّ الْخَبَائِثِ» (١١٠)
و«ابْنُ السَّبِيلِ» (١١١)

فالنمطان السابقان هما النمطان الرئيسان للتعبيرات الاصطلاحية ، بالإضافة إلى أنماط
أخرى ليست مطردة ، ولكن أمثلتها محدودة ، لا نكاد نجدها متكررة بنفس النمط ، فقد تأتي
على شكل : مركب ظرفي:« صَبَاحَ مَسَاءَ»(١١٢) ، أو مركب عطفي ، مثل :« بِقَضِّهَا
وَقَضِيضِهَا »(١١٣) ، و« قيل وقال » (١١٤)، أو مثل :« فَبِهَا وَنِعْمَتْ »(١١٥) ، ومن أمثلة الجار
والمجرور: « كذا وكذا»(١١٦) (١١٧) ، التي تتكون من حرف (الكاف) للتشبيه ، و(ذا
)الإشارة، وهي تعني اختصار الحكاية ، وربما أن الحديث يطول ، وكذلك أسلوب القسم
،مثل : «والذي نَفْسِي بِيَدِهِ»(١١٨) ،وغير ذلك .

(١٠٥) أمثال الحديث ٣٠٦ .
(١٠٦) سنن النسائي ٣/ ٥٤ ، باب: الدعاء بعد الذكر .
(١٠٧) مسند أحمد ٢٨/ ٣٥٩ ، حديث شداد بن أوس . القُذَّةُ : بالضّم : ريشُ السَّهْمَ : ج قُذَذٌ وقِذَاذٌ .
(١٠٨) أمثال الحديث ١٥٤.
(١٠٩) صحيح البخاري ٩/ ٧١ ، باب : ما يكره من ثناء السلطان .
(١١٠) صحيح ابن حبان ١٢/ ١٦٩ ، باب : ذكر ما يجب على المرء من مجانبة الخمر .
(١١١) صحيح البخاري ٣/ ١١١ باب : إثم من منع ابن السبيل من الماء .
(١١٢) صحيح ابن خزيمة ٤/ ٧١ ، باب : إعطاء رؤساء الناس وقادتهم على الإسلام .
(١١٣) صحيح ابن حبان ٢/ ٥٠٥ ، باب : ذكر الخبر الدال على إيجاب الجنة لمن توكل .
(١١٤) صحيح البخاري ٣/ ١٢٠ ، باب: ما ينهى عن إضاعة المال .
(١١٥) سنن الترمذي ٢/٣٦٩ ، باب : في الوضوء يوم الجمعة .
(١١٦) صحيح البخاري ١/ ٢٣ ، باب: ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم .
(١١٧) صحيح البخاري ١/ ٨٩ ، باب: التوجه نحو القبلة حيث كان .
(١١٨) صحيح البخاري ٢/ ١٢٣ ، باب : الاستعفاف عن المسألة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانياً : **سياق الموقف أو سياق الحال :**

ينبغي التأكيد في البداية على أن الوحدات الكلامية للغة الطبيعية ليست مجرد سلسلة من الكلمات، فهناك مكون لا كلامي يُفرض دائما بالضرورة فوق المكون الكلامي في كل وحدة كلامية محكية ، و تعليل ذلك "لأن المعنى القاموسي ، أو المعنى المعجمي ليس كل شيء في إدراك معنى الكلام ،فثمة عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء من معنى الكلام ، وذلك كشخصية المتكلم ، وشخصية المخاطب ، وما بينهما من علاقات ، وما يحيط بالكلام من ملابسات ، وظروف ذات صلة به "([119]) ، ويقول مالينوسكي عن أهمية سياق الموقف:"إن الاعتقاد بأن المعنى محصور في الكلام مفهوم خاطئ ؛لأن الكلام والسياق عنصران متلازمان ، يكمل بعضهم بعضاً ،ولا انفصام بينهما "([120]) . ن أركان قاعدة التخاطب لأية لغة طبيعية ترتكز على ثلاثة عناصر، هي : المخاطِب والمخاطَب والخِطاب، وهذا الأخير يتحكَّم به المخاطب على مستويات متوزعة على أساس المراتب المقامية للمخاطَب ، فصيغة الخطاب مع السيد ، تُغاير وضعية الخطاب مع العبد ، ومخاطبة الأب لها حيثيات خاصة تتباين مع غيرها من أساليب الخطاب ، ولهذا تنبه لها علماء المعاني من البلاغيين ، وتحدثوا عنها في تقسيمهم لأنواع الخطاب بفعل الأمر بحسب مقامات المخاطبين من أمر واجب ، والتماس باحترام ، ودعاء بإجلال ، وذلك بأن للسياق دلالة تظهر ، وتتشكل من ظروف أداء المقام ، وهي التي تشتمل على القرائن الحالية ، وقديما قيل : لكلِّ مقامٍ مقالٌ .

ونستطيع أن نحدد سياق الموقف أو سياق الحال بناءً على ما سبق بعدة عناصر : هي : طبيعة **المتحدث والمخاطَب والمقام التخاطبي** ، فالمتحدث هو النبي **صلى الله عليه وسلم** ،وهو يتحدث بوصفه ،أولاً نبياً مرسلاً من عند الله مهمته التبليغ ، و قائداً ، يصدر الأوامر والنواهي بشكل مباشر وصريح ، وهو بشر يتعامل مع أنماط مختلفة من البشر ، والأوامر والنواهي التي يشتمل عليها الخطاب النبوي ليست أوامر عسكرية جافة تخلو من الروح والإنسانية ، ولكنها تكون في طيات خطاب يحتوي على كل ما يثير استمالة ، وإقناع المتلقي ، للتأثير فيه ، وجعله يتقاسم مع المخاطب اعتقاده وإقناعه الخاص ، وكسب تأييده ، وتوافقه الضمني والصريح ، لجعله يقوم بالفعل الذي يطلبه ويريده المخاطب ، فعلى سبيل المثال نجد الأمر بالصلاة ، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام قد جاء في سياقات عديدة

([119]) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ٢١٥ .
([120]) انظر: نظرية السياق: دراسة أصولية ٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الكتاب والسنة ، فقد أرشد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، و أمر بإقامتها ، والحرص عل
، وعلى أوقاتها بالأمر المباشر في سياقات ، ثم يأتي في سياق آخر بتعبير اصطلا
ليربط هذه الفريضة ربطاً عاطفياً للتأثير في المتلقي ، وربط الأمر بصورة تحبب الصلاة إ
النفس « وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»(١٢١) ،وهذا التركيب يؤثر على العاطفة ؛ لأن م
التعبير قد سبق ذكره في القرآن الكريم وارتبط بما تحبه النفس وهو الأزواج والأولاد ، قا
تعالى : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ (١٢٢) ، ثم استخدمه النبي ص في
سياق آخر كما في الحديث : «وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، » (١٢٣) ، وقد أورد شراح الحدي
أن (قُرَّةَ العَيْنِ) في الحديث السابق قد يرتبط مدلولها بالآية القرآنية ، وقد يرتبط بالمعن
الجديد الذي جاء به الخطاب النبوي ، وهو الصلاة ، فكلا المعنيين السياقيين أصبح محتم
، يقول المباركفوري : " يحتمل أن يراد الذرية التي لا تنقطع بعده، بل تستمر ما بقيت الدني
، ولعله مأخوذ من قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ (١٢٤)«وقيل
أراد المداومة على الصلاة ، والمحافظة عليها لقوله:« وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»(١٢٥) .
ونجد أننا عندما تستخدم جملة ما في مقام تخاطبي معين تتحدد وظيفتها الدلالية، وقد يغير
ذلك المقام ، أو ما يسمى سياق الموقف context of situation تلك الوظيفة ، وتأثير
سياق الموقف في الدلالة والخطاب يظهر جلياً إذا كان الخطاب موجهاً للتأثير والإقناع ؛
فالمخاطب يحتل الركن الأساسي في عملية الخطاب ، ويتغيرالتأثير النفسي العاطفي
للتركيب تبعاً لتغير الموقف ، فالتعبير الاصطلاحي «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ »(١٢٦) ، فهذا دعاء دلالته
واضحة إذا أخذ من وجهة نظر السياق اللغوي فحسب ، فهو دعاءٌ بشَرٍ في دلالته اللغوية
الأولية وقد ورد في السنة في سياق أحد النصوص على لسان علي . رضي الله عنه . قَالَ: "
ثَكِلَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ "(١٢٧) ، وكان المقصود به أنه دعاء بالشر ،إلا أننا في سياقات أخرى إذا
عدنا لسياق الخطاب بأركانه ، والمقام التخاطبي ، وعرفنا شخصية المخاطب ، والسياق
اللفظي للخطاب الذي ورد فيه، فسنجد أن الدعاء بالشر ليس دائماً ،هو المقصود بنفس هذا

---

(١٢١) سنن النسائي ٧/ ٦١ ، باب: حب النساء .
(١٢٢) سورة الفرقان ٧٤ .
(١٢٣) سنن النسائي ٣/ ٥٤ ، باب :الدعاء بعد الذكر .
(١٢٤) سورة الفرقان ٧٤ .
(١٢٥) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٢٧٩ .
(١٢٦) سنن الترمذي ٥/ ١٢، باب : ما جاء في حرمة الصلاة .
(١٢٧) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٦٥ ، باب : في ابتداء العالم جلساءه بالفائدة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التعبير ،مثل ما ورد في الحديث عن معاذ بن جبل . رضي الله عنه . : «يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» (١٢٨) ، فالتعبيرات المصاحبة للكلام ، ومشاعر المتكلم ، وحاله تؤثر على الدلالة ، ويؤكد ذلك وصف حال المتحدث والمخاطب ، والمقام التخاطبي في بداية الحديث ، وهو تقديم معاذ بن جبل . رضي الله عنه . للحديث " كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ . صلى الله عليه وسلم . فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ" (١٢٩) ، ولمعاذ ابن جبل على وجه الخصوص عدداً من الأحاديث النبوية الشريفة التي يذكر فيها أنه كان رديف النبي . صلى الله عليه وسلم . أو في حجر النبي . صلى الله عليه وسلم . وذلك ما يصف مشاعر القرب والود من النبي . صلى الله عليه وسلم . .

كما قد يفيد المقام التخاطبي في معرفة موطن الاستشهاد الذي أراده المتحدث مثلاً ، كما نجد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم . :«الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ،فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» (١٣٠) ، فقد ورد الحديث في رواية أخرى مصحوباً بالقصة والسياق الذي ورد فيه ، وهو « أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ بِمَكَّةَ تَدْخُلُ عَلَى نِسَاءِ قُرَيْشٍ تُضْحِكُهُنَّ، فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَسَّعَ اللَّهُ دَخَلَتِ الْمَدِينَةُ ق، الَتْ عَائِشَةُ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . : فَدَخَلَتْ عَلَيَّ فَقُلْتُ لَهَا: فُلَانَةُ، مَا أَقْدَمَكِ؟ قَالَتْ: إِلَيْكُنَّ. قُلْتُ: فَأَيْنَ نَزَلْتِ؟ قَالَتْ: عَلَى فُلَانَةَ، امْرَأَةٍ كَانَتْ تُضْحِكُ النَّاسَ بِالْمَدِينَةِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:«فُلَانَةُ».فَقَالَتْ عَائِشَةُ: نَعَمْ ،فَقَالَ:«عَلَى مَنْ نَزَلْتِ؟» قَالَتْ:عَلَى فُلَانَةَ الْمُضْحِكَةِ، قَالَ:«الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ إِنَّ الْأَرْوَاحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» (١٣١) .

وعندما تستخدم جملة ما بالفعل في مقام تخاطبي معين تتحقق وظيفتها الدلالية، وقد يغير ذلك المقام أو ما يسمى بسياق الموقف situation context of المعنى الموضوع لها إلى معنى آخر، كأن يخرجها من معنى الخبر إلى الأمر أو الاستفهام أيضاً ، فاللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية تشيع بين الأفراد الذين يستعملونها ، لابد لها من التأثر والتأثير بالناحية النفسية للذين يتخذونها لسانا ينطقون بها لتأدية مقاصدهم ، وكشف مدلولاتهم وصولًا لتحقيق التفاهم فيما بينهم ،ويبدو أن مرد ذلك يعود إلى المتداولين باللغة نفسها، ؛لذا إن الكلمة حينما

(١٢٨) سنن الترمذي ٥/ ١٢، باب : ما جاء في حرمة الصلاة .
(١٢٩) سنن الترمذي ٥/ ١٢، باب : ما جاء في حرمة الصلاة .
(١٣٠) صحيح البخاري ٤/ ١٣٤ ، باب : الأرواح مجندة .
(١٣١) اعتلال القلوب للخرائطي ١/ ٢٣٦ ، باب: دلالة المحبة وشواهدها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تنطق بكون لها جو عاطفي يحيط بها ، وينفذ بها ويعطيها ألوانا مؤقتة على حسب استعمالها ؛ فالسياق هو الذي يوجه الدلالة النفسية أو العاطفية، فإذا دخلت لفظة في سياق معين يكون لها دلالة نفسية معينة تتناسب مع دلالة السياق بخلاف ما لو استُبدِلت من غيرها ، وبهذا نجد أن السياق هو الحكم في تحديد الدلالة ذات التأثير الذي يتلاءم معه ومراد المتكلم .

ثالثاً : السياق الثقافي والاجتماعي والحضاري :

قد تختلف دلالة تركيب من حيث القيمة التعبيرية والتأثيرية عند الأشخاص ، سواءً كان متكلماً أو مخاطباً باختلاف مستوياتهم الاجتماعية ، وخلفياتهم الثقافية ، وموروثاتهم الحضارية ، وقد يختلف أفراد البيئة اللغوية الواحدة في إدراك قيمتها وأبعادها بحسب اختلافاتهم الثقافية والاجتماعية ، والنبي . صلى الله عليه وسلم . قد أنزلت رسالته في بقعة جغرافية محددة ، إلا أن رسالته لا تختص بأمة واحدة في زمن محدد ، ولكن رسالته شاملة لكل الأزمان والأمكنة ، حتى يرث الله الأرض ، ومن عليها ، والخطاب النبوي على الرغم من أنه قد جاء برسالة لتصحيح العقيدة ، وتغيير المفاهيم والمعتقدات والموروثات الجاهلية ، لكنه أيضاً قد راعى الموروث الثقافي الجاهلي ، فقد أقر النبي . صلى الله عليه وسلم . بعض الموروثات التي لا تتنافى مع أحكام الشريعة ، وفي الحديث الشريف :« يَا عَائِشَةُ لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ فَأَلْزَقْتُهَا بِالْأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ »[١٣٢] ، وقد علق النووي :" من أجل أن يتمكن الناس من دخول بيت الله . عز وجل . ، لكن ترك ذلك خوف الفتنة مع كونه مصلحة "[١٣٣] .

ويظهر أثر السياق الثقافي والاجتماعي في المفردات التي تعكس البيئة ، فنرى أثر البيئة في اختيار واستخدام مفردات مثل:تربت ، رغم ، برد العيش ،لأن البرد له قيمته في البيئة الحارة الصحراوية التي كانت فيها هذا الخطاب، وإذا اتجهنا إلى دراسة (قائمة) من الكلمات ، نجد أنها تشتمل على جميع ما يستعمله المجتمع اللغوي ، مثل المفردات التي تدل على البيئة الصحراوية : حَاطب ، قض، قضيض ، رغم ، تربت ، معادن .

---

(١٣٢) صحيح مسلم ٩٨/٤ ، كتاب : الحج ، باب: نقض الكعبة وبنائها.

(١٣٣) شرح رياض الصالحين ١/ ٥٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما نجد أثر الخلفيات الاجتماعية والثقافية في المفاهيم والقيم التي تدعو إليها الحكم :«انصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أو مظْلوماً» (١٣٤)، ففي الدعوة إلى القيم التي تختص بها الحكمة في الحديث النبوي ، جاءت هذه الدعوة إلى التحالف مع الأخ للفت النظر؛ لأن هذه الدعوة تلاقي قبولاً لدى العرب ، ولكن بقية السياق اللغوي قد أزاح الستار عن المفهوم من هذه الدعوة أنها ليست على عمومها بالمفهوم الجاهلي ، ولكن هذا النصر قد يأخذ شكلاً آخر ، وهو كف يد الأخ عن الظلم ، وهو مفهوم أرقى من المفهوم الجاهلي في نصرة الأخ ، كما نجد عدداً من الحكم التي تدعو إلى توقير القرابة ، مثل :«ابنُ أُخْتِ القَوْمِ مِنْهُمْ» (١٣٥) ، و«الخَالَة بمَنْزِلَةِ الأُم»(١٣٦)، كما نجد ما يدعو إلى توقير الكبار في السن ، والمنزلة في المجتمع العربي «أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ »(١٣٧) ، و«أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»(١٣٨)، كما نجد الدعوة في الخطاب النبوي عن التعفف عن الناس «الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» (١٣٩) .

فالتعابير المسكوكة تعد مرآة للعلاقات الإنسانية ، فهي تعكس صورة متكاملة صالحة ؛ لأن تفصح ، وتُبِين عن العلاقات القائمة بين أفراد أي مجتمع في أي زمان وأي مكان؛ ومن هنا نجد هذه التعابير في صور متباينة تعكس التمسك ، والتحلي بالعلاقات الحسنة الإيجابية بين الإنسان ومجتمعه، والعلاقات الإيجابية التي حثت ، وركّزت عليها الأمثال مصدر الدراسة كثيرة متنوعة جامعة ، شملت :الحث على صلة الرحم ، وحسن العلاقة بين الأقارب، الحث على حسن الاختيار في المصاهرة، الحث على اختيار الصاحب وانتقائه، التناسب والتلاؤم والتوافق بين الأشخاص ،الحث على التعاون والتكاتف والمساعدة ، الحث على الاعتراف بالفضل ، ورد الجميل والمعروف، والحث على حسن المعاملة ، وتبادل الاحترام والتقدير ، وحسن الجوار، والتحلي بصفة الإحسان، النصح والإرشاد، حث المرء على الإيثار لمنفعة الآخرين، الإيمان بالعدل والمساواة،و إسناد الأمر لأهله ، وغير ذلك .

والخطاب النبوي . صلى الله عليه وسلم . لم يوجه إلى فئة ، أو عرق ، أو جنس ، أو منطقة جغرافية محددة ،أو حقبة تاريخية ،ولكنه موجه لكل البشر في كل العالم منذ البعثة حتى قيام الساعة ، وقد سبق وذكرنا أن التفسير الدلالي للخطاب يمكن أن يفسر عن طريق ما يسمى بمعاني السياقات الآنية ، وهي المفهومة من مثال معين في مكان معين، في نص

(١٣٤) صحيح البخاري ٣/ ١٢٨، باب: أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً .
(١٣٥) صحيح البخاري ٤/ ١٨٥ ، باب ابن أخت القوم ومولى القوم منهم .
(١٣٦) صحيح البخاري ٥/ ١٤١ ، باب : عمرة القضاء .
(١٣٧) سنن أبي داود ٤/ ١٣٣ ، باب : في الحد يشفع فيه .
(١٣٨) سنن أبي داود ٤/ ٢٦١ ، باب : في تنزيل الناس منازلهم .
(١٣٩) أمثال الحديث ١١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معين، في مقام معين، أما المعنى السياقي المحتمل ، فهو كل المعاني السياقية الممكنة للوحدة اللغوية عند تجريدها من النصوص التي تقع فيها ، فكما يساهم السياق اللغوي في كشف معاني السياق الآنية في نص محدد ، كذلك يمكن أن يؤثر السياق الثقافي على تحديد المعاني السياقية الآنية ، ففي الحكمة التي في الحديث :« أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ » (١٤٠) ، فالتفسير لمعنى « أَطِبْ مَطْعَمَكَ» ، قد جاء في السياق اللغوي للحديث ، أن المقصود بطيب المطعم ، ليس هو نوعية الطعام ، ولكن مصدره الحلال ، وهذا هو المفهوم من نص الحديث الكامل :«يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا »(١٤١) ، وفي ظل ثورة علوم الطاقة الحديثة ، والباحثين فيها نجد من يربط بين ارتفاع الطاقة الروحية لدى أشخاص دون آخرين ، وتأثير نوعية الطعام الذي يتناوله الإنسان على الطاقات المختلفة ، ومنها الطاقة الروحية ، وأن ارتفاع الطاقة الروحية يزيد من اليقين ، فعند الدعاء يستجاب لمن لديه يقين بالإجابة نظراً لارتفاع الطاقة الروحية ، وحضور قلبه ، ومن جا تأثير بعض الأطعمة على هذه الطاقة ، مثل : التمور وغيرها ، وهي الأطعمة التي كان يتناولها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومن هنا جاء تفسيراً آخر لجملة « أَطِبْ مَطْعَمَكَ» وهو نوعية الطعام ، وليس مصدره ، ويظل هذا التفسير وغيره محتملاً لا نستطيع الجزم به ولا نملك أن نرفضه ، فالسياق اللغوي أو الحالي أو الثقافي ليس من الضرورة أن يكشف دلالة السياق ، ويوجهها ، ويعطيها دلالة حتمية آنية، ولكن قد تظل دلالات أخرى محتملة كذلك نجد أثر الخلفيات الحضارية التاريخية في ضرب الأمثال « أنا النذير العريان(١٤٢) (١٤٣) فهذا مثل جاهلي قديم قد ذكره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وفيه إحالة ، وله سيا تاريخي ، وهي قصة قديمة توارثها العرب في موروثهم الحضاري الأدبي ، كما نجد أيض في التعبير الاصطلاحي: « صَوَاحِبُ يُوسُف"(١٤٤) ، أيضاً إشارة إلى سياق تاريخي آخ وهي قصة يوسف ـ عليه السلام ـ وامرأة العزيز ، وصواحبها المذكورة في القرآن الكر بتفاصيلها .

---

(١٤٠) المعجم الأوسط ٦/ ٣١١ ، باب : من اسمه محمد .

(١٤١) المعجم الأوسط ٦/ ٣١١ ، باب : من اسمه محمد .

(١٤٢) جاء في شرح السنة في معنى (النَّذِيرُ العريان) :« معناه أن الربيئة الذي يرقب العدو ، فإذا لقي العدو نزع ثوبه فألاح به ينذر القوم فيبقى عرياناً ، أو نزع ثوبه يعدو ، فيخبر القوم ، وخص العريان لأنه أبين في العين " (شرح السنة للبغوي ١/ ١٩٥).

(١٤٣) صحيح البخاري ٨/ ١٠٢ ، باب : الانتهاء عن المعاصي .

(١٤٤) صحيح البخاري ١/ ١٣٤ ، باب : حد المريض أن يشهد الجماعة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أهم النتائج التي توصل إليها البحث :

إن أهمية استعمال التراكيب المسكوكة بشكل عام في الخطاب النبوي تكمن في أن هذا الخطاب موجه بصفة عامة إلى جميع الشرائح الاجتماعية ، و له أهمية قصوى في مدى التطور الذي يحققه هذا الخطاب من خلال إثارة الحس المشترك لجميع الفئات الإنسانية على مر الأزمان .

يتلخص الفرق بين الأمثال والحكم من حيث الدلالة ، في الهدف من الاستخدام ، ففي المثل يكون الهدف هو تقريب المعنى الذي يريده المتكلم إلى المتلقي ، وهي حيادية القيمة ، أي أنها لا تحمل قيماً ، أما الحكمة ، فيكون الهدف منها هو الدعوة إلى قيم إنسانية عامة ، وكذلك قيم اجتماعية تعبر عن مجتمع محدد بسياقات تاريخية ، واجتماعية ، وثقافية لها بعض الخصوصية ، مثل قيم المجتمع العربي .

الفرق بين التراكيب المسكوكة من حيث التركيب ، نجد أن الأمثال والحكم تأتي على هيئة جمل مكتملة تركيبياً ودلالياً ، و تأتي التعابير الاصطلاحية على شكل جمل أيضاً مكتملة تركيبياً ، وغير مكتملة الدلالة ، كما تأتي على شكل مركبات أخرى اسمية ، منها الوصفي ، والعطفي ، والحرفي ، وأهم ما يميز التعبير الاصطلاحي هو صلاحيتها للتوزيع في التراكيب اللغوية ، مثلما تتوزع الوحدات المعجمية في اللغة العربية .

عند التحليل للسياق اللغوي فقط لبعض التراكيب تبقى الدلالات المتعددة محتملة ، وتفيد النظرية السياقية في تحديد دلالة محددة آنية للتركيب عند كشف السياقات الأخرى الحالية ،والاجتماعية ،والثقافية ، إلا أننا نجد في بعض التراكيب أن الدلالة قد لا تكون حتمية حتى بعد كشف السياق اللغوي ، أو الحالي ،أو الثقافي، وقد تظل الدلالات المتعددة محتملة ، وهذا من كمال البلاغة النبوية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قائمة المصادر والمراجع :

- الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٩م .

- إصلاح المنطق ، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ، تحقيق : محمد مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.

- اعتلال القلوب للخرائطي ، أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي السامري ، تحقيق: حمدي الدمرداش ، نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة ، الرياض ، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م .

- الأمثال في الحديث النبوي ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني ، تحقيق : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية - بومباي - الهند ، الطبعة الثانية ١٩٨٧م .

- بعض صور التعبيرات الاصطلاحية في العربية المعاصرة ، وفاء كامل فايد، مجلة مجمع اللغة العربية - دمشق ، الجزء الرابع (٨٩٥ ، ٩١٦) .

- البلغة إلى أصول اللغة ، أبو الطيب محمد صديق الحسيني البخاري القِنَّوجي ، تحقيق : سهاد حمدان أحمد السامرائي - رسالة ماجستير من كلية التربية للبنات - جامعة تكريت .

- البيان والتبيين ، عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ ، دار ومكتبة الهلال - بيروت ١٤٢٣ هـ.

- التعابير المسكوكة و دورها في الخطاب السياسي ، دراسة دلالية تقابلية عربية -فرنسية ، موسوي أمينة ليلى ،رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات - جامعة أبو بكر بالقايد ٢٠١٠-٢٠١١م .

- التعبير الاصطلاحي ، حسام الدين كريم زكي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م .

- جامع بيان العلم وفضله ، أبو عمر يوسف النمري القرطبي ، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ م .

- جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية ، النص القرآني نموذجاً ، سيروان الجنابي ، حيدر جبار عيدان ، بحث في مجلة مركز الكوفة ، العدد التاسع (٣١-٥٦) ، ٢٠٠٨م .

- جمهرة الأمثال ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، دار الفكر - بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الخطابة ،أصولها وتاريخها في أزهى عصورها ، الإمام أبو زهرة ، دار الفكر العربي - القاهرة ، الطبعة الأولى .

- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر أبو فهر ، مطبعة المدني - القاهرة - دار المدني - جدة ، الطبعة الثالثة١٩٩٢م .

- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ،ومحمد فؤاد عبد الباقي ،وإبراهيم عطوة عوض ، مصطفى البابي الحلبي - مصر ، الطبعة الثانية ١٩٧٥ م

- سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية- صيدا ، بيروت .

- السياق المقامي وأهميته في تفسير صيغ المخاطبة في الخطاب النبوي ، وان محمد وان سولونج - جامعة بوترا الماليزية ، شمس الجميلي أيوب - الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

- شرح رياض الصالحين ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، دار الوطن للنشر، الرياض ، ١٤٢٦ هـ.

- شرح السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٣م

- شرح مشكل الآثار ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي ،تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة،الطبعة الأولى ١٤٩٤ م.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي القاهري ، دار الكتب العلمية- بيروت.

- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) تعليق : مصطفى البغا ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ، أبو حاتم الدارمي البُستي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت ،الطبعة الثانية ١٩٩٣م .

- صحيح ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق السلمي النيسابوري ، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي - بيروت .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ضياء السالك إلى أوضح المسالك ، محمد عبد العزيز النجار،مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

ـ العقد الفريد ، أبو عمر ابن عبد ربه الأندلسي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .

- علم اللغة العربية ، محمود فهمى حجازى ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .

- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، محمود السعران ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٩٧م.

- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٧١ م .

- الفن ومذاهبه في النثر العربي ، شوقي ضيف ، دار المعارف - القاهرة ، الطبعة الثالثة عشرة ٢٠١٠م .

- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، زين المناوي القاهري ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ، الطبعة الأولى ١٩٥٦م.

- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، أحمد المتوكل ، دار المان للنشر والتوزيع - الرباط ٢٠٠١ م .

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ .

- اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان عمر ، عالم الكتب - القاهرة ، الطبعة الخامسة ٢٠٠٦م .

-المجتبى من السنن ، السنن الصغرى للنسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

- مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري ، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة - بيروت ، لبنان .

- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام الرحماني المباركفوري ، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند ، الطبعة الثالثة ١٩٨٤ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

- المستقصي في أمثال العرب ، جار الله الزمخشري ،دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م .

- المصاحبة اللغوية وأثرها فى تحديد الدلالة فى القرآن الكريم، دراسة نظرية ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية - جامعة الأزهر ، حمادة محمد عبد الفتاح الحسيني ٢٠٠٧م .

- معالم السنن، شرح سنن أبي داود ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ، المطبعة العلمية - حلب ، الطبعة الأولى ١٩٣٢ م .

- المعجم الأوسط ، أبو القاسم الطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة .

- المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية، عربي -عربي، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى ..

- مفتاح العلوم ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان ،الطبعة الثانية ١٩٨٧ م .

- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، دار الساقي ، الطبعة الرابعة ٢٠٠١م

- مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة .

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي دار إحياء التراث العربي - بيروت ،الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .

- موسوعة أمثال العرب، إميل بديع يعقوب ، بيروت - لبنان .

- النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي-الدلالي ،محمد حماسة عبد اللطيف ،دار غريب للطباعة والنشر- القاهرة ٢٠٠٦م .

- نظرية السياق - دراسة أصولية، نجم الدين كريم قادر الزنكي ، دار الكتب العلمية ٢٠٠٦م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Abstract :

This study (idiomatic expression – study on HADITH SHARIF contexts) aims at showing the similarities and differences between the various forms that refer to the different types of those expressions , idiomatic expression refers to an expression whose meanings cannot be inferred from the meanings of the words that make it up .concepts of idiom, phrase, proverb, sentence, The use of the term is generic idioms and brings together all these kinds of expressions .

Here is the general substance of the studies: the first part does an update on the analysis of semantic and syntactic features of words fixed, and then we study the practical side of these expressions in the HADITH SHARIF speech and how they can influence the arguments in acts of communication.

key words : HADITH SHARIF discourse , idiomatic expression, Idioms ,fixed expressions .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner